كتاب

الروضة الزهية

« في »

المسامرات الدينية

« تاليف الراهب البرموسي »

امتحنوا كل شيء تمسكوا بالحسن « ١ تس ٥ : ٢١ »

طبع بالمطبعة الوطنية بدرب المبلات بعطفة غالي

« سنة ١٦١٢ للشهداء الاطهار »

تمهيد

قال الراوي قضت عليّ احوال المعيشة في سنة ١٦١٢ الحالية ان طفت في الشتاء الماضي بلاد الصعيد اتجر فيها فادتني خاتمة مطافي الى ان وصلت مدينة اسيوط التى اشتهرت في هذه السنين الاخيرة هي وما يجاورها من البلاد بتعدد المذاهب وكثرة النازحين من مذهب الاقباط الارثوذكسيين الى غيره وكان دخولي اثناء النهار حين بدأ يقدم اعتذاره وجاء الليل يسبل استاره فقصدت منزلا للمبيت اشتهر اهله من قديم الزمان بكرم الاخلاق وطيب النفس ولين العريكة وسهولة الجانب وفوق ذلك بالكرم والسخاء والضيافة وتفريج كربة المتضائق وتعزية الحزين · فطرقت الباب كاحد الطلاب ولم يمر على انتظاري برهة وجيزة حتى وافاني خادم تلوح عليه سمات اسياده وصفات مخدوميه فهش في وجهي وابتسم ثغره مذ لمحني وقادني الى غرفة واسعة واجلسني فيها على الرحب والسعة واكرم وفدي وقال لي طب نفساً وقر عيناً واشرح صدرا وابتسم ثغراً وكن هذه الليلة ضيفنا العزيز وايقن ان سيدي يطير فرحاً مذ يعلم بتشريفك لمنزله ويرقص طرباً وهوذا انا بين يديك رهين امرك وطوع اشارتك انى اقضي ما تأمر وافعل ما تقول فقلت له اكثر الله خيرك وشكر فضلك وازادك معروفاً فوق معروفك ولطفاً على لطفك اني لست في احتياج الى شيء الآن من الخدمة · توجه الى قضاء اشغالك

بسلامة الله وامانه · فقال لي ان لا شغل لي آخر خلاف استقبال الضيوف الذين هم على شاكلتك وهذه الليلة انا في انتظار جماعة كبيرة من عمد اسيوط وخواجاتها الذين سيأتون ليادوا واجبات السلام على سيدي لانه كان مسافرا في القاهرة وحضر اليوم ونحن في فرح وسرور لمجيئه بالسلامة وفوق ذلك انه عازم على ان يصنع عرساً لابنه ولم يتم الخادم من كلامه حتى بدات الجماهير تتقاطر على تلك الغرفة الواسعة وهو يستقبل كل واحد بما جبل عليه من الانس والبشاشة ويجلسه في مكان يليق به وكان من طوالع بختي ان جلس بجانبي اثنان احدهما اسمه المرتاب والآخر المؤمن فسمعتهما يقولان الواحد للآخر

الفصل الاول في اللاهوت الاقدس

« المسامرة الاولى في انبثاق الروح القدس »

المرتاب اني احسب نفسي سعيدا منذ الآن فصاعدا وساقضي ما بقي من عمري بالهناء والراحة والسعادة واموت على هذه الحال المرضية وذلك لاني كنت اهيم على وجهي تائها وسائرا بين تلك الاضاليل المهلكة والاقاويل المضحكة التي تعلم بها الكنائس التقليدية سيما الكنيسة القبطية التي ربيت فيها واما الآن فقد استنارت بصيرتي واستضاءت عيناي بنور الايمان الحقيقي واشرق على قلبي شعاع الانجيل بواسطة ساداتي الرسل الاميركان الذين شرفوا هذه الديار المصرية فملأوها ضياء وسناء واني لمديون لهم وحقيق ان اعترف

لم بالفضل عليّ وعلى من كان نظيري فليتك ايها الصديق تسمعني وتفعل بحسب ما اشير عليك فكنت تعيش مثلي سعيدا

المؤمن سبحان الله لا اخالك الا مازحاً بهذا الكلام فان عهدي بك من امس واول امس انك ارثوذكسي غيور شديد التمسك وكثير الاعتصام بمبادىء دينك . اما انت مازح والا فاخبرني ماذا جرى لك لارى لانقاذك مما تجدف به من سبيل

المرتاب كلا يا صديقي كلا لست بمازح نعم لا انكر اني كنت من ذي قبل شديد التمسك بما تتمسك به انت اليوم كما تقول ولكني احسب ان ما كنت اقر به بالامس ضلالا اليوم فاني قد اهتديت وارتشدت وعرفت ان اميز بين الخير والشر والصدق والكذب والهداية والضلالة والنور والظلام والفضل في ذلك الى ابن عمي الذي كان احد طلبة علم اللاهوت في مدرسة مصر عند الامريكان فانه هو الذي اراني السبيل الى الخروج من فيافي ضلال الكنيسة القبطية وعقائدها التي لا طائل تحتها ولا فائدة فيها

المؤمن اذا كان الامر كذلك فلا ارى مانعاً اذا حسن لديك ان نضع بحثاً بيني وبينك ونقطع سهر هذه الليلة بالكلام والحديث فيما يختص بالقضايا التي ترتاب فيها غير اني اطلب منك ان تجعل كلامك مقروناً بالحشمة والادب لئلا يؤدي ذلك بنا الى رداءة العاقبة فيكون بحثنا سبباً للنفور بيننا وانا لا اود ان اعدم صداقتك ومودتك وموالاتك لاني اعتبرك صديقاً مخلصاً لي فارجوك اذا كنت تريد ان تناظرني ان تحفظ حقوق المودّة بيننا فان كلامك الذي تقوله يشف عن التعصب الاعمى والغيظ الاحمق والجهالة العظمى التي لا اود ان تكون متصفاً

بها فاذا وقع طلبي لديك موقع حسن ورضيت ان تدخل معي في مجال البحث فالانسب لي ولك ان يورد كل منا ما عنده من البراهين مقتصرا على ايراد حججه

المرتاب طلبك هذا عين مرامي فاننا نحن البروتستانت العاملين في الانجيل تقضي علينا واجباتنا ودعوتنا الانجيلية ان تنتهز كل فرصة لائقة للتعليم والتبشير والهداية والانذار بحقائق الانجيل سيما بين اخواننا الاقباط الذين حجبت عن اعينهم تقاليد ابائهم معرفة المبادي الصحيحة حتى اصبحوا لا يفطنون ويميزون الصحيح من الكذب والسمين من الغث وليتهم يدركون تلك الاغلاط الكثيرة وينقون تعاليم المسيح منها وينزعون القشور عن القلوب ويزيلون العرض ويتمسكون بالجوهر فان ما نعلمه نحن انتم تعلمونه وما نقر به تقرون به ما عدا انكم خلطتم الزوان في الحق ومزجتم الظلام بالنور حتى اضحيتم لا تقدرون ان تميزوا الواحد من الآخر

المؤمن ابدا اشكرك على تلبية دعوتي ولا احمل ذلك الا على الصداقة المعقودة من عهد قديم بيني وبينك التي لا تستطيع صروف الزمان وحوادث الايام ان شاء الله ان تحل عراها . ثم لا اخالك الا متوهما فيما تدعيه علينا نحن الارثوذكسيين فان الفرق خطير والاختلاف بيننا وبينكم جوهري وان كنت تريد لاضرب لك مثالا على ذلك الآن والاغلاط التى تعزوها الينا انما هي ادعاء منك بلا دليل واني اكرر النصيحة لك قبل الخوض في عباب الكلام ان تتخذ لك مثالا من صديقك وهو ان لا تنسب لغيرك امرا ما بغير الاستدلال والحكم عليه فان الله منحنا عقولا لنتدبر بها ونتثبت وزن الامور ونعرف خيرها من شرها وحلوها من مرها

فلا يليق بك ان تدعي علينا بالغلط من قبل ان تخطو معي خطوة واحدة

المرتاب قد قلت لك من برهة ان ابن عمي الذي تلقى الدروس اللاهوتية في مدرسة المرسلين الامريكان بمصر هو الذي كشف عن بصيرتي غطاء الخرافات فتركتها وتمسكت بالتعاليم الصحيحة التي لا يد لها زور ولا كذب ولا خرافة وهي تعاليم الانجيل التي علم بها المسيح ورسله واما انتم فازدتم عليها وخلطتموها بتعاليم الناس المرذولة بل فضلتم هذه على تلك وقد قرات الكتاب المقدس برمته واستدللت منه على ضلالكم واغلاطكم الكثيرة وتذيلكم لتقاليد ابائكم الاعظم منزلة وتفضيلها على تعاليم الله الصحيحة الواضحة في كتابه العزيز ومع ذلك فلا ارى مانعًا من ان تبدي ما شئت مما تزعم به وتقوله حيث اني واقف لك بالمرصاد لتدبر كل كلمة تقولها واميز كل جملة تلفظها

المومن لم يات الوقت بعد الذي به اطالبك بالبرهان والدليل على دعواك مما نحن براء منه وانما اذكر لك عبارة تقدر ان تفهم منها ان الزيادة التي تعزوها زورا الينا يجب ان تعزوها صحيحاً لاصحابك البروتستان فانك سوف ترى كيف ان قومك يتصرفون شر التصرف بنصوص الكتاب ويسيئون التفسير بآياته المقدسة ويخترعون بغير خجل تعاليم يضاد اقواله الالهية اتعرف يا صديقي ان تتلو غيباً دستور الايمان

المرتاب لا اعرف ما هو هذا الدستور ولم اسمع به الا منك فاني قرات كما اخبرت حضرتك الكتاب المقدس مرارا عديدة وعلى نوع اخص الانجيل الذي هو العهد الجديد فلم اجد فيه ما اسمه دستور الايمان الذي تسالني عن خرافة من خرافاتكم وتقليد من تقاليدكم الكاذبة فاذا كان الامر كذلك

فاقول لك اني كنت قبلاً اعرف شيئا من هذا القبيل واما الآن فقد نسيت الجميع لاني حسبته خسارة ألم تقرا ما قال الرسول بهذا المعنى (انا انسى ما هو وراء وامتد الى ما هو قدام (في ٣ : ١٣) فما تعني بسؤالك هذا

المومن اطالبك بمعرفة دستور الايمان الذي سنه المجمع الاول المسكوني في نيقيا واتمه المجمع الثاني المسكوني في القسطنطينية وختمه بجرم من يزيد عليه او ينقص منه شيئاً المجمع الثالث المسكوني في افسس وهو المدعو غالباً دستور مجمع نيقيا الذي اوله (اؤمن باله واحد اب ضابط الكل خالق السماء والارض)

المرتاب فهمت مقصودك فاني كنت حفظت هذا القانون حين كنت صغيرا في الكتاب عند العريف وبقيت حافظاً له الى ان استنارت بنور الانجيل فتركته ونسيته لاني احسبه اختراعاً وكذباً من ضمن الاكاذيب ولا اود الآن ان اعود اتمسك بمثل ذلك فاني ارفض كل تعاليم المجامع المسكونية وغيرها لان اباءها هم بشر والبشر كاذبون على حد ما قاله النبي (كل انسان كاذب مز ١١٦ : ١١) فلذلك لا اعتبر غير الانجيل

المؤمن لا انكر عليك هذا المبدا اذا كان ما يعمله هؤلاء الآباء يخالف او ينافي تعليم الكتاب واما اذا كان يفسره ويشرحه ويوافقه فمبداك يكون غير صائب الم يخبرك ابن عمك اللاهوتي الذي اهتديت على يده كما تقول بهذا الدستور الايماني فاني انا متيقن ان ابن عمك قرا على اساتذته نظام اللاهوت الذي يحوي هذا الدستور ويحله هو وقانون اثناسيوس محل الاعتبار عند اصحابك الامريكان

المرتاب   لم يخبرني ابن عمي عن هذا الدستور فسوف اساله عنه وعن اعتبار اصحابي له ولكن اخبرني ما الغاية المقصودة منه

المؤمن   غايتي ان اوضح لك وابين ان اصحابك اخلوا بنظام هذا الدستور بما اضافوا عليه لفظة (والابن) فان المجمع علم كما علم المسيح ان الروح القدس منبثق من الاب (يو ١٥ : ٢٦) وعلى هذه الصفة تلي هذا الدستور في المجمع الثاني والثالث المسكونيين بدون ان ياتيا لتلك الاضافة والزيادة من ذكر ولاريب ان الزيادة فضلاً عن كونها اتت منافية وضداً لتعليم المسيح الذي علمت به هذه المجامع فانها شوشت تعليم اللاهوت الذي هو اساس سائر العقائد المسيحية الخلاصية افتريد ان تسمع كيف صار ذلك

المرتاب   لا اظن انه بلغ باصحابي الاغفال والنسيان والتجاهل هذا المبلغ حتى انهم يتمسكون بما ينافي تعليم المسيح له المجد ويضاده ثم يوجب التشويش في اللاهوت فانهم هم الشديدو التمسك دون غيرهم بما علمه السيد في انجيله المقدس خصوصاً عن الاقانيم الثلاثة واني لا امنعك عما تود ان تقوله ولا اسلم لك به بغير ان افاوض به ابن عمي وارى ما يجيب به

المؤمن   اشكرك على هذا المبدا وهو مبدأي ايضاً فاني اكره ان ارى رأياً بغير ان اتحراه واختبره بذاتي واسال عنه فان العجلة ام الزلل والخفة والجهل والحماقة كما ان التروي والتاني سبب الثبات والحكمة والتعقل فليتك كنت فعلت بهذا المبدا من اول الامر فما كنت تحتاج ان تترك مذهبك وتتمسك بغيره وتصبح تقذف الارثوذكسية لانها تخالف رايك بكل مذمة

المرتاب   اتعجب من انك تستغلطني لاني قبلت مبادي البروتستانت بدون امتحان وفحص وتفتيش ولما لا تعذرني لاني لم اجد من يشرح لي المبادي الارثوذكسية ويظهر لي فساد تلك وصحة هذه اما تعلم حالة الاكليروس القبطي وشأنه في المعرفة والعلم وهو امر اشهر من ان يذكر فماذا تؤمل من الناس هذه حالهم

المؤمن   اوافقك على هذا الامر فان العلم عندنا اقل مما عند غيرنا فان حال طائفتنا الطبيعية قضت على اكليروسنا ان يكون بهذه الحال دون غيرها والظروف احكام اظنك لا تختلف عني بالتسليم بها والظروف التي مرت على اهلينا قضت عليهم بان يفقدوا العلم ويعدموا نور المعرفة اما قرأت تاريخ مصر وعرفت شيئاً مما طرأ عليهم على اني اعلم ماذا تجيبني به فانك ستقول لي ما يقوله الحكماء ان لكل داء دواء فكان يلزم اصحابك الاقباط ان يحسموا داءهم بدوائهم فاقول ان هذا الدواء لم يدركه اصحابي الا عقيب نصف هذا الجيل فاخذوا يداوون به مرضهم ومن المسلم ان المرض لا يزول من المريض الا على سبيل التدريج فلو اردنا ان ننزع الداء مرة واحدة لاضررنا بصاحبه على ان من لا يدرك الكل يدرك جزءه فلا اقبل لك عذرا فانه كان يمكنك ان تسال عمن لهم معرفة بدقائق الامور وحقائقها اما سمعت من احد جيرانك انه يوجد جريدة دينية للطائفة تسمى «الحق» وهي مستعدة ان تجاوب على كل من يسالها

المرتاب   لم اسمع ابداً عن هذه الجريدة ولم اعلم عنها شيئاً ولم ار بين ايدي اصحابي الا الجرائد التي تنشر ما يطابق ويوافق مذهبهم وشربهم فارجوك ان تخبرني عن اصحاب هذه الجريدة فان ذلك يهمني كثيراً لاني

الى هذا الوقت لا اعهد بين الطائفة القبطية وجود رجال فيهم الكفاءة للقيام بمثل هذا العمل العظيم

المؤمن ان هذه الجريدة تصدر بالقاهرة اسبوعياً باسم صاحب امتيازها يوسف افندي منقاريوس ناظر المدرسة الاكليريكية كما يعلم ذلك من عنوان الرسائل التي ترد الى ادارتها ولا اعلم عنها شيئاً خلاف ذلك ولا تهمني معرفته فاني اتبع المبدأ القائل . (لا تنظر الى من قال بل انظر الى ما قال) فيلزمك ان تعلم ذلك وقد عجبت من قولك انك لم تسمع ابدا شيئاً عن هذه الجريدة وقد انتشرت داخلا وخارجاً انتشارا عجيبا وصارت موضوع الكلام والحديث في نوادي اصحابك ومجتمعاتهم ويغلب على ظني ان كبارهم يجتهدون ان يخفوها عن صغارهم

المرتاب اكثر الله خيرك وشكر فضلك فانه هكذا تكون شروط الصداقة والمودة فاني ساجتهد ان اتبع نصيحتك الصادرة من قلب سليم مخلص واكون مشتركا في هذه الجريدة رضي اصحابي او لم يرضوا فاني حر في اعمالي والرسول يستحضني ان اميز وافطن واتدبر واتمسك بالحسن (١ تس ٥ : ٢١) تفضل علي سخرتك وورد لي ما وعدتني به من البراهين المختصة بحديث مسامرتنا هذه الليلة

المؤمن احسنت في قولك واري انه يضيق بي المجال والوقت لا يسمح لي ان اورد لك ذلك بالتفصيل فان السهرة اخذت حدها واوان النوم حان ولكن اثبت لك من تلك البراهين اللاهوتية شيئاً بطريق الايجاز . لا يخفى عليك ياصديقي ان اصحابك البروتستانت يتفقون معنا بهذه المبادي وهي (١) ان الله الذي هو جوهر واحد هو ثلاثة اقانيم

وهي الاب والابن والروح القدس (٢) ان الاب يتميز بكونه علة والابن والروح يتميزان بكونهما معلولين (٣) ان الخواص الاقنومية هي غير الخواص الجوهرية فبناء على المبدا الثاني نقول ان الروح القدس منبثق من الاب لانه معلول له وان الابن مولود من الاب لانه معلول له ايضاً فيتميز كل من الاب والابن والروح عن الآخر تمييزاً اقنومياً بحيث لا يكون الواحد هو الآخر فلا يكون الاب هو الابن والروح او الابن هو الاب والروح او الروح هو الاب والابن ولا يشترك اقنوم بما للآخر فالاب وحده له الابوة والانبثاق والابن وحده له البنوة والتجسد والروح وحده له الانبثاق فكما ان الاب لم يشارك الابن بان يكون مولودا او الروح بان يكون منبثقاً وكما ان الروح لم يشارك الاب بان يكون والدا او الابن بان يكون مولودا كذلك الابن لم يشارك الاب بان يكون والدا وباثقاً فيكون الروح القدس منبثقاً من الاب فقط كما ان الابن مولود من الاب فقط

وبناء على المبدأ الثاني نقول ان الابوة والولادة والانبثاق هي الخواص الاقنومية التي يمتاز كل اقنوم من الاقانيم الثلاثة بخاصة منها لا يشترك معه اقنوم ثان بها والا لكانت من الخواص الجوهرية لان هذه هي التي يشترك بها كل اقنوم مع الآخر لانها مشاعة بين الاقانيم والحال ان الخواص الجوهرية التي هي كالسرمدية والخلق لو اشترك بها احد الاقانيم مع الآخر دون ان يشترك بها الثالث لكان هذا الآخير ادنى منزلة واقل درجة واصغر مرتبة من غيره وبالتالي لكان مخلوقاً فاذاً لا

يمكن الانبثاق ان يكون من الخواص الجوهرية لكونه يجعل الروح القدس السرمدي الخالق زمنياً ومخلوقاً ودون الاب والابن وغير مساوٍ لهما في اللاهوت ولا يمكن ان يكون منبثقاً من الابن كما هو منبثق من الاب لان الانبثاق من الخواص الاقنومية التي لو تعدى مالاقنوم منها للآخر لحصل تشويش وبلبلة في الاقانيم فيكون الاب هو الابن وبالعكس لان اقنومين لو اتحدا على ان يبثقا اقنوماً ثالثاً لكان يلزم ان يكون هذان الاقنومان اما انهما اتحدا اتحاداً جوهرياً ليبثقا الاقنوم الثالث وهو ضلال لانه يؤدي الى ان يكون الروح القدس مخلوقاً او انهما اتحدا اتحاداً اقنومياً فيكون الاب هو الابن والابن هو الاب وهو قول صابليوس الذي قال ان اقنوم اللاهوت واحد كما ان الجوهر واحد فاذاً الروح القدس منبثق من الاب فقط

المرتاب الى هذه الساعة لم اكن اعلم انه يوجد بين اصحابي البروتستانت وبينكم اختلاف جوهري هذه صفته فاني كنت سمعت مراراً عديدة من ابن عمي ان ما نعلمه من القضايا الجوهرية تعلمه الكنائس التقليدية كذلك ولكن الآن علمت ان الفرق بين ذينك التعليمين خطير والاختلاف جسيم وما اوردته يا صاحبي من البراهين لا استطيع ان اسلم بصحته ما لم اعرض ذلك على من اهتديت على يده وارجوك ان تقبل عذري في ذلك وارى اننا استغرقنا في الحديث فاسمح لي بالتوجه للمبيت

المؤمن عذرك مقبول على العين والراس والتماسك لقطع الحديث والذهاب الى النوم في محله · ليلتك سعيده ارجوك عدم التاخر

المرتاب ليلتك سعيدة ومباركة

﴿ المسامرة الثانية ﴾

« احتجاج البروتستانت على اثبات الزيادة »

(وتفنيده)

قال الراوي اني لا استطيع ان اصف الفرح واشرح اللذة واعبر عن الارتياح والانبساط والابتهاج والمسرة التي شملتني في خلال هذه المناظرة بما كنت اسمعه واعير له اذناً صاغية من قول ذينك المتحاورين خصوصاً من كلام المؤمن ولم يكن غيري من عمد اسيوط باقل من سروري على اني كنت ارى احياناً ان بعضاً يفرحون لكلام المؤمن بينما كنت ارى اخر يكتئبون منه ويظهرون السخط له ولم اقدر ان اعرف العلة في ذلك الا بعد حين · ولم ترفض هذه الحفلة الحافلة ويذهب كل واحد الى حال سبيله حتى وافى الخادم الامين وقدامه رجل تلوح عليه الهيبة والاجلال فابتدرني الخادم بالكلام قبل ان استقبله بالسلام وقال لي ان هذا هو سيدي صاحب المنزل فنهضت حالاً احتفاء به واجلالاً له وتناولت يده لاقبلها فمنعني من تقبيلها وجلس واجلسني بجانبه وبدأ يلاطفني ويؤانسني ويتجاذب معي اطراف الحديث وينتقل بي من القديم الى الحديث الى ان استغرق الكلام واستطال وقطع مدة اخرى من الليل فاوصى خادمه الامين ان يعتني بخدمتي

ويقضي كل ما احتاج اليه من الراحة وتوجه الى داخل منزله اما الخادم فاقتفى اثره وبعد حين حضر وهو حامل الطعام فوضعه قدامي ووقف تجاهي ينتظر كل حركة او اشارة تبدو مني ليعمل بموجبها ولما فرغت من العشاء خطر على بالي ان اقطع وقتاً آخر من تلك الليلة السعيدة بالكلام والحديث مع هذا الخادم الذي توسمت بسحنته كل نباهة وذوق ولطف وحشمة وادب فاجلسته بجانبي رغماً عنه وقلت له

الضيف . الا تسمح ايها الشاب ان تؤانسني وتقطع معي حيناً اقضيه معك بالكلام واستعلم منك بعض امور انا محتاج ان استطلع عليها فانه لا يخفى عليك ياولدي ان الغريب (على راي المثل) اعمى ولو كان بصيرا فارجوك ان تجيب طلبي

الخادم . على العين والراس ياسيدي فاني رهين امرك في كل ما تقوله لي وتامرني به

الضيف شكر الله فضلك وفتح عليك بالخير وسهل لك كل طريق صالح اخبرني من فضلك هل كل الذين كانوا حاضرين هذه الليلة هم اقباط ارثوذكسيون

الخادم كلا يا سيدي فان بعضهم بروتستانت وربما كان العدد الغالب منهم

الضيف وانا كنت اظن ذلك فاني كنت انظر افراداً كثيرين يتمايلون ويتضجرون من كلام المؤمن بيد اني كنت ارى غيرهم يسرون ويفرحون خصوصاً عندما كان يعجز المرتاب عن رد براهينه وتفنيدها وهكذا جرى الى ان انتهت المحاورة وانصرف جميعهم على اني

كنت اود ان اتوسم شيئاً من الفرح او الحزن في وجه سيدك الذي تشرفت بمعرفتي به بواسطتك من برهة ولكن لم استطع الى ذلك سبيلا لعله كان يخشى من وقوع النزاع في منزله

الخادم لا . لا يخشى مثل ذلك لانهم جميعاً يهابونه ويحسبون له الف حساب وانما هو لا يميل المذهب الاقباط ولا المذهب البروتستانت غير انه يكرم هؤلاء ويحتفل بهم ويفضلهم على غيرهم

الضيف اذاً ينتج من قولك ان لا دين له فان من لا مذهب له لا دين له ايضاً الا تقدر ان تخبرني ما سبب ذلك وما العلة في كونه يكرم فريقاً دون الآخر

الخادم لا يمكنني ان اعرف السبب الحقيقي والذي اعرفه هو ان سيدي كان ترك مذهب الاقباط واشترك مع البروتستانت وبقي مدة طويلة يحضر جمعياتهم ويسمع وعظهم ويصلي معهم ولكنه من اول شتاء عام اول تركهم واما انه يكرمهم ويفضلهم على الاقباط فهو لان ابنه المزمع ان يعمل له عرساً هو احد تلامذة مدرستهم

الضيف ترى من من ائمة الفريقين يدعوهم سيدك ليعقد اكليل ولده

الخادم لا اقدر ان انبئك الآن عن الحقيقة فانه لم يحصل اتفاق بعد بين اهل البيت على دعوة فريق دون الآخر فان سيدي الكبير جد العريس والنساء على وجه العموم اختاروا عقد الاكليل في كنيسة الاقباط وعزموا على ان يكافوا جناب الاسقف ليحضر مع القسوس والشمامسة واما والد العريس

فقد اختار عكس ذلك لكون العريس لا يزال تلميذا في مدرسة البروتستانت وخصوصاً انه لا يود ان يرى صورة الاسقف في بيته وليس هو فقط بل الناس كثيرون من عمد الاقباط لا يطيقون ان يسمعوا احداً يلفظ باسمه قدامهم بالخير

الضيف ولماذا هذا الكره الزائد ألا تعرف له من سبب

الخادم لا انما اسمع جميعهم يقولون عنه انه بخيل ولا يبعد ان يكون ذلك من قبيل التهم الباطلة

قال الراوي فتطلعت في الساعة واذا الليل قد انتصف . فخشيت من ان الخادم اذا اطلت الكلام معه زيادة عن ذلك ان يتأخر عن ميعاد قيامه من النوم فيسخط عليه سيده فقطعت معه الحديث وقد راقتني تلك المناظرة فكلفته ان يستاذن لي من سيده بكي استمر عنده ضيفاً زمناً استطيع ان اقف به على غايتها فلبى طلبي واعلمني ان سيده لا يخلي سبيلي ويدعني ان انطلق قبل ما ينتهي العرس ثم اعدد لي فرشة للنوم وخرج مودعاً لي بسلامه . فنمت قرير العين مسرورا مما رايته وسمعته حامدا للقرى وشاكرا لاهله حاسباً تلك الليلة من افضل ليالي الدهر التي مرت عليّ . ثم لما بدا الليل بنهار وطلع النهار واصبح الصباح ولاح خرجت اتعقب المرتاب لعلي اقف له على اثر مع ابن عمه فطلبت استقصي عن مكان وجوده حتى عثرت عليه في احد الاسواق فلما اقتربت منه وجدت ابن عمه فاتحاً لكتاب يعظ فيه اناساً كانوا جلوساً بين يديه فلما رأى المرتاب تبسم ضاحكا فتوسمت في وجهه ان في نفسه شيئاً يريد ان

يقوله لابن عمه فلما أتمّ خطابه هذا اقترب منه ذلك وقال له

المرتاب ـ اقصُّ عليك امراً حدث لي الليلة الماضية مع احد اصدقائي الاقباط القاطنين ارجوك ان تميل اذنيك لسماعه وهو انه جرت بيني وبينه محاورة استغرقت وقتاً كبيراً من الليل كان موضوعها وجود الخلاف جوهري بيننا وبين الكنائس التقليدية من عدمه فكنت انا كما علمني حضرتك ابرهن له انه لا يوجد الخلاف يعتد به وهو كان ينفي ذلك الى ان ذكر عبارة الدعلت منها لاعتقادنا بها عن خلاف ما يعلم الانجيل المقدس وخلاف ما تعلمه العقل ايضاً فانه اورد لي من الاول والثاني ما جعلني مرتاباً وعاجزاً عن الجواب وهذه العبارة هي انبثاق الروح القدس فقد قال لي ان البروتستانت يعتقدون ان الروح القدس منبثق من الآب والابن وبرهن لي ان هذا الاقرار مخالف لتعليم الانجيل فضلاً عن كونه يبطل التعليم بسرّ التثليث والتوحيد ويشوشه قبل حقيقة نحن نعتقد ذلك وما احتجاجنا عنه فانك انت الذي غمرتني بفضلك فيجب ان تكمل احسانك اليّ فاني وعدته ان اقدم بالجواب عليه الليلة الآتية

الواعظ – انك اخطأت فيما فعلت فانه كان يجب عليك مذ عرفت انه قادر على الاخذ والردّ ان تقتصر بالكلام والحديث معه فانك لم تبلغ بعد المكانة والدربة والقدرة على الخوض والجدال في المناظرة والمحاورة والمسامرة مع انسان حنكته التجارب ومحصته الحوادث والمصائب من الكنائس التقليدية ولكن لا ينفع الندم بعد زلة القدم فاول كل امر يلزمك ان تتبع نصيحتي في ما آمرك به لكيما تعرف كيف تتخلص اذا تضايقت من الزامه لك بقبول حجة او بدحضها . اما ما عزاه الينا مما نعتقده من امر انبثاق الروح القدس فهو امر

حقيقي لانه هكذا تسلمنا ان نعتقد

المرتاب – لقد صدقت امر لا استطيع ان اخالفه وها انا طوع يديك في كل ما تأمرني به وقد كنت قلت لذلك الصديق اني لست بملزوم ان اقبل كل ما تورده لي كقضية مسلمة بدون ان افاوض به ابن عمي فاجاب التماسي مسروراً . فاذا اوردت لي سائر الحجج التي تؤيد هذه العقيدة لاكون على بصيرة واعرف كيف ارد على اقواله التي ما زالت تشوش افكاري وتبلبل خاطري

الواعظ – لا اخفي عليك يا ابن عمي ان هذه المسألة لما قرأناها في كتاب نظام اللاهوت وجدناها عارية عن كل دليل وبرهان ولم نكن نعلم العلة في ذلك ولم يخطر على بال احدنا انه يوجد اناس يعلمون غير ذلك ولذا استلمنا هذه العقيدة قضية مسلمة بدون فحص ومن مدة قليلة عثرت على اقتراح بهذا الخصوص في جريدة الحق وقد تكرر مرتين ولكن لم ار احداً تعرض من جماعتنا للرد عليه فدلت ذلك على ان الامر ليس بذي اهمية وان الاعتقاد به وعدمه سيان عندنا . ولكن انت صرت الآن ملزوماً ان تبرهن على صحيح مذهبنا خصوصاً بعد ما وعدت صاحبك بانك تأتي اليه بالجواب الليلة القابلة

المرتاب – كذا الامر يا ابن عمي خصوصاً انه كان يوجد في ذلك المحفل كثيرون من مشهوري بلدنا ووجهائها وجماعة ليست بقليلة من المدن يواظبون على سماع وعظه فلو تأخرت انا عن الحضور هذه الليلة في المحفل لشاع الخبر شاع الخبر بما فعله وارتابوا بصحة دعوتنا فارجوك المبادرة

الواعظ – انا اعرف كيف تحضر لك على ما يجب ان تجيب به صديقك

من الادلة والبراهين قم بنا نتوجه الى كنيسة الاقباط التبع ونتظاهر لهم باننا ارثوذكسيون ونتجادل معهم بهذه القضية لنرى ماذا يحتجون به فتحفظه وتستعد به فان اصحابنا البروتستانت يتفقون مع البابويين بذلك لان اولئك لما افترقوا من هؤلاء ظلوا محافظين على هذا التقليد ولم يخطر على بال احدهم ان يخالف اتباع البابا به فلا تخف اذاً ولا يداخلك الوسواس والريب من قبل ذلك

المرتاب – ارحت فؤادي وفرجت كربي ومزقت سحابة حزني . اكثر الله خيراك وشكر فضلك . قم بنا نتوجه الى قس الاقباط التبع ونفعل ما اشرت به

قال الراوي فانطلق هذان الاثنان وتوجها في حال سبيلهما واما انا فكبر عليّ الامر وصعب جداً فكرهت ان اشاركهما بالتظاهر بالكثلكة وقلت في ذاتي ان ما سوف يقوله قس الاقباط التبع ويحتجون به عن تعليمهم بانبثاق الروح القدس من الآب والابن سامعه من فم المرتاب مساء فتركتهما وانطلقت اجول في شوارع اسيوط اتفرج على اسواقها وارتاض بمنتزهاتها الى قرب الاصيل فرجعت الى ذلك المكان عينه الذي فارقني منه ذانك الشخصان ولم استقر به قليلاً حتى رأيتهما مقبلين وسمات السرور تلوح على سحنة كل منهما فقعدا وبدأ الواحد يخاطب الآخر

الواعظ – لقد طابت نفسك يا ابن عمي مما سمعته من ذلك الكاهن القبطي التابع فهكذا تقضي علينا واجباتنا والمحافظة على وقارنا وشرفنا فلو لم نحتال على ذلك القسيس ونتظاهر بالارثوذكسية فمن اين كنا نقف على ما وقفنا عليه ونسمع ما سمعناه واظنك تحفظه كما سمعته وتستطيع ان تلقيه بلا تهتة ولا تلعثم في الكلام مع صديقك هذه الليلة

المرتاب — كم انا مسرور يا ابن عمي وان حالي لسعيدة الآن فاني كنت مضطرب الفكر وخائفًا ومرتعبًا من الوقوع في الخطر فقد اسكنت جاشي بسياستك الرفيعة وجماتني اسير فضلك وعبد معروفك وكن واثقًا يابن عمك فاني سوف القي على صديقي كلما اورده لنا ذلك الكاثوليكي بكل هدوء وسكون. أما انت واثق بجودة قريحتي وحسن ذاكرتي وجميل حافظتي

الواعظ — نعم انا واثق بذلك وانما على سبيل التنبيه اقول لحضرتك واحفظ ما اقوله لك كما وعدتني بالطاعة في جميع ما آمرك به انه لا يبعد ان يكون صديقك مستعدًا للرد على تلك الاحتجاجات التي ستوردها له لان نار الجدال مستعرة بلا انقطاع بين الكاثوليك والارثوذكس فأرجّح انه يكون قرأ ما يردّ به هؤلاء على اولئك وعرف ما يفند به ما ستحتجّ به انت ففي باب الاحاطة يلزمك اولاً ان تلاحظ مفردات اقواله والفاظها فانه لا يخلو الحال من انه اثناء خطابه معك يورد لك جملاً ركيكة المعنى شأن كل متكلم وخطيب فانت بدلاً من انك تشبث باحتجاجاته القوية وترتاب بها اترك هذه كأنك لم تسمعها منه وتمسّك بالركيكات منها. ثانيًا. اذا رأيت ان هذه الطريقة لم تنجح بها خذ لك وسيلة اخرى وهي انك تصرف اقواله على غير المعنى الذي يريده بها واجعل لها معنى آخر فتربكه. ثالثًا. واذا كنت لا تنجح بهذه الوسيلة ايضًا فاتركها وعوّل على وسيلة اخرى وهي انك تسرق صديقك بحيث تخرجه من الكلام في هذا الموضوع الى الكلام في غيره وهكذا تستطيع ان تتخلص من كل ما يضايقك به. أفهمت ذلك

المرتاب — نعم يا ابن عمي العزيز سأفعل ذلك راضخًا لنصيحتك وعاملاً

بامرك وسأوقفك على ماذا يكون من امرنا

قال الراوي وكان الليل قد بدأ ينشر بساطه فودّع كلٌّ منهما الآخر بعد ما دعا الواعظ لابن عمه بدعاء الانتصار والفوز وتوجه المرتاب الى المنزل المعهود بالذهاب اليه فسرت اقتفي اثر خطواته الى ان دخل غرفة الضيافة والاستقبال فدخلت وراءه ووجدت تلك الغرفة غاصة بجماعة من اعيان اسيوط والمؤمن في وسطهم ينتظرون جميعًا قدوم المرتاب فوقف الجميع احتفاء بقدومه واكرامًا له وحيوه بالسلام ثم جلس فجلسوا معًا واخذ المؤمن يخاطب صديقه قائلاً

المؤمن — اهلاً وسهلاً بصديقنا المحبوب لقد شرفتنا بقدومك السعيد ان شاء الله تكون فاوضت ابن عمك التلميذ اللاهوتي في جميع ما دار بيني وبينك من الحديث والكلام واستطعت ان تقف بواسطة ثاقب فكره على الصحيح من فاسد تلك المسامرة الودادية سيما ما يتعلق منها بالقضية المعلومة لديك وهي مسألة انبثاق الروح القدس

المرتاب — اي نعم فاني فعلت ذلك وتمكنت من ان اقف على الرأي القويم منها فانه حفظه الله اورد لي من الحجج الدامغة ما جعلني ان ارتاب باقوال حضرتك واحسبك انك غلطان في مذهبك سيما في المسألة السابق ذكرها

المؤمن — اذًا تفضل علينا حضرتك بايضاح ذلك لنراه اذا كان يقبل الانتقاد والرد او لا يقبل ذلك فان النور لا يمكن ان يختفي ولا نستطيع نحن ايضًا اخفاءه اذا كان نورًا حقيقيًا

المرتاب ـ طلبك مستجاب وهو الغاية التي حضرت في هذا المكان من اجلها وهنذا آخذ بالكلام عنها. اعلم يا صديقي ان انبثاق الروح من الابن ايضاً المسألة التي تنكرها على البروتستانت هي واضحة من نصوص كثيرة واردة في تعاليم المسيح الذي يتضمنه الانجيل المقدس وانا اقتصر لك على ايراد ما نستطيع ان نقتنع منه بتصحيح راينا وفاسد رايكم . ان السيد قال اثناء خطابه للرسل عن نفسه (كل ما للاب هو لي يو ١٦: ١٥) والحال ان للاب انبثاق الروح فاذاً للابن انبثاق الروح ايضاً فيكون الروح منبثقاً من الابن كما هو منبثق من الاب أرايت يا صاحبي كيف ان الحق لا يخفى فماذا يمنعك بعد من الاقرار به

المؤمن — لو كنت تاملت تاملاً حقيقياً في المبادي التي لا يختلف بها البروتستانت عنا لما احتجت ان تتشبث بهذا النص وتفسره هذا التفسير الذي لا يزيد المسألة الا ارتباكاً واشكالاً زائداً فانه لا يعزب عن فهمك وفهم اعيان بلدنا الحاضرين اننا كنا قلنا بناءً على المبدإ الثاني ان افعال الله بحسب صدورها من اللاهوت هي قسمان احدها ما هو اقنومي والثاني ما هو جوهري والاول هو الذي يختص به اقنوم واحد دون آخر وهو الابوة والولادة والانبثاق فلا تتعدى صفة من هذه الصفات من هذا الاقنوم الى ذاك الاقنوم فلا تكون الابوة والولادة للروح ولا الابوة والانبثاق للابن ولا الولادة والانبثاق للاب ولو كان ما لهذا لذاك لكان لا فرق بين الاول والآخر اقنومياً فيكون الاقنوم احداً كما ان الجوهر واحد وهو باطل وكفر محض واما القسم الثاني من الافعال هو المختص بالجوهر فهو المشاع بين الاب والابن والروح القدس الذي كلٌّ منهم يساوي به الآخر فالابن له ما للاب من هذا الاخير كما ان الروح له ذلك

فاذاً ليس للابن ما للآب من الافعال الاقنومية والا لكنا نقدم لحضرتك ذلك القياس بعينه وهو كلما للآب للابن والحال ان للآب الابوة فاذاً للابن الابوة فيكون الابن اباً وهو باطل ولا يخلو الحال من ان يكون ما للآب والابن للروح او لا يكون فان كان الاول فحينئذٍ يكون كل ما للآب والابن للروح والحال ان للآب الابوة والابن البنوة . فاذاً للروح الابوة والبنوة فيكون الروح أباً وابناً وان كان الثاني فيكون الروح ناقصاً ودون الآب والابن وكلا الامرين باطلان . فاذا ما للاب للابن وللروح من الافعال الجوهرية

المرتاب ـ ما أشد غيظكم انتم ايها الاقباط التقليديون فانه بهذا المقدار تحاولون ان تنتصروا للباطل فتكثرون الكلام بلا فائدة فان هذه الاقوال جميعها لا يُشتمّ منها رائحة الحقيقة

المؤمن ـ سبحان الله . من علّمك هذه المحاولة فاني على مسمع الحاضرين لم اخاطبك الا من جنس كلامك ولم أخرج عن دائرة حديثك ولم افاوضك الا بالقياس الذي قدمته لي حضرتك فما كنت اعهد بك انك تبخسني حقي وتخاطبني بهذا اللسان وكلامي لا اظن انه كف صداه من سماعك وسكن دويه من عقلك والا أفتريد ان اعيد عليك الكرة

المرتاب ـ لا اريد ذلك وانما اريد ان تقتصر بالجواب فان الكلام الكثير دليل الطيش والخفة

المؤمن ـ حباً وطاعة اذن تكرّم علينا وعلى الحاضرين بايراد ما بقي لديك من النصوص التي تلتجئ بها عن صحة دعواك

المرتاب — انا اوردت لك ما لديّ من الاقوال الانجيلية ولا أُريد ان تطيل الحديث عبثاً فيمضي علينا الوقت بدون ان يقنع احدنا الآخر فقد قال الانجيل المقدس (كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان (يو ١ : ٣) فاذاً الروح كان بالابن اي انبثق منه · ثانياً ان المسيح اعطى رسله الروح ووعدهم ان يرسله لهم (يو ١٤ : ٢٦) وفعل ذلك يوم عيد البنديكوستي (اع ٢ : ٤) فاذاً الروح مأخوذ ومرسول اي صادر من الابن والحال انه لا فرق بين الصدور والانبثاق

المؤمن — اني كنت حزيناً مرتعباً ومرتاباً لاني خلتك تورد آيات تعرب عن عليّ وتبعد عن فهمي وما كنت اعلم انك تستعير خلقان غيرك لتستتر بها فان هذه الاقوال الانجيلية انما يحتج بها اتباع البابا الذين هم اصل ابتداع انبثاق الروح من الابن واصحابك البروتستانت اخذوا ذلك عنهم تقليداً ولم يتنبهوا لفساده ليصلحوا عواره زمان انفصالهم من البابا وكبر عليهم الامر بعد ذلك الحين فظلوا متمسكين بغلطهم هذا

المرتاب — امرك غريب يا اخي ألست انت القائل لا تنظر الى من قال بل الى ما قال فلماذا لا تفعل بحسب هذا المبدأ وانت البادئ به فادحض هذه البراهين ان كنت تستطيع الى دحضها سبيلاً

المؤمن — انا محافظ قدر استطاعتي على هذا المبدأ وانما اقصد ان انصحك الاّ تأخذ عن غيرك شيئاً لا تعرف ان كان فاسداً او صحيحاً وعلى نوع اخص اشياء البابويين الذين مزجوا التعليم القويم بالسقيم واصبح الانسان لا يقدر ان يميز الواحد من الآخر

المرتاب — انت عجزت عن الاجابة ولذلك تريد ان تضيّع الوقت بالمحاولة فردّ على براهيني هذه او اعترف بعجزك

المؤمن — لم اعجز عن الجواب وليس دأبي المحاولة وانما غايتي ان اوقفك على المصادر التي اخذت عنها براهينك وعولت عليها وهاك بيان فسادها · ان قول الانجيل (كل به كان) لا يفيدك يا صاحبي فائدة ما لم تنزل الروح القدس منزلة واحد من الخلائق التي كانت به اي بالابن فان غرض الانجيل بهذا النص الالهي ان يوضح ان ابن الله هو خالق الاشياء كلها وان ليس له شريك في خلقه لها كما يدلو ذلك قائلاً (وبغيره لم يكن شيء مما كان فلو كان الروح القدس هو احد هذه الموجودات التي اوجدها الابن لكان مخلوقاً نظيرها · فان هذا النص كان موضوع احتجاج مقدونيوس الذي ذهب بسوء رأيه الى ان الروح القدس مخلوق من الابن فكان يبرهن به على مخلوقية الروح فاذا كنت انت واصحابك تحتجون به عن تعليم انبثاق الروح من الابن فهذا دليل كونكم توافقون ذلك الهرطوقي وتشاركونه بكفره لان هذا النص لا يفيد خلاف مخلوقية الخلائق بالابن

المرتاب — ان الروح ليس هو احد هذه المخلوقات وآراء اصحابي عن القول بذلك وانما يقولون انه منبثق من الابن كما هو منبثق من الاب ولا يريدون بان الروح كان بالابن خلاف الانبثاق منه

المؤمن — ان قاعدة تفسير الكتاب المقدس لا تسمح لنا بان نصاً واحداً يدل على معنيين مختلفين فان كان ذلك النص يدل دلالة صريحة على خلقة الموجودات بالابن فلا يمكن ان يدل على انبثاق الروح منه ألا يسلم اصحابك

بهذه القاعدة الاساسية لتفسير الكتاب -

المرتاب - نعم يسلمون بذلك فاسرع في ان تجيب اذا قدرت على باقي ما احتججت انا به

المؤمن - اما عبارتك التي تقول فيها ان المسيح اعطى رسله او ارسل لهم الروح القدس فلا نسلم بان المراد بها انبثاق الروح منه لامرين الاول لان انبثاق الروح ليس هو تحت الزمان لانه كائن منذ الازل والثاني لان المسيح لم يعط رسله اقنوم الروح بل اعطاهم مواهب الروح التي يدعو الكتاب كل موهبة منها روحاً (١ ش ١١ : ٢)

المرتاب - انت تحاول في كلامك ولا سبيل لي لاقناعك . فان المسيح يؤيد هذه العبارة جلياً فيقول صريحاً انه يرسل الروح . فهو اذاً مرسول من الابن اي منبثق منه ويقول ان الروح يأخذ مما له . وورد في عدة مواضع من العهد الجديد عن الروح القدس انه روح المسيح كما هو روح الاب فماذا تريد اكثر من هذه الادلة الواضحة

المؤمن - اصدقك اني لا احاول وانما اريد اظهار الحق الذي انت تجتهد في اخفائه فقد اكدت لك ان ارسال الابن للروح الى الرسل يراد به ارسال مواهب الروح لا اقنومه ولو كان المراد بذلك اقنومه لكان الرسل صاروا آلهة متجسدين كما ان المسيح اله متأنس وهي قضية لا تستطيع انكارها فان المسيح اله لانه حل فيه اللاهوت اقنومياً فلو كان الرسل حل فيهم الروح القدس اقنومياً لكانوا آلهة نظير المسيح . وعلى فرض ان المسألة لا تؤدي الى هذا

الكفر الواضح فان ارسال الابن للروح لا ينتج منه الانبثاق من الابن والا لكان كما ان الابن يرسل الروح لانه يرسله كذلك الروح يلد الابن لانه يرسله كما جاء في النبي (اش ٤٨ : ١٦) فيكون الابن مولوداً من الاب والروح كما ان الروح منبثق من الاب والابن . واما قول المسيح عن الروح انه يأخذ مما لي . فليس المراد به (كما هو واضح) انه يأخذ منه بل يأخذ مما له اي انه يعلم تعاليمه ويعمل عمله . واما قول الانجيل عنه انه روح المسيح فلا يفهم منه احد شيئاً غير ان الروح مستقر بالمسيح وممنوح منه وبواسطته للعالم نظراً الى التجسد المجيد

المرتاب - من الغرائب كونك تقر ان الكتاب يقول عن الروح انه روح المسيح لانه مستقر به لكنك لا تقول عن الابن انه ابن الروح مع كونه مستقراً به

المؤمن - ان الابن مستقر بالروح لكن ليس هو ابنه لئلا يكون له ابوان

المرتاب - كدت تبلغ الى حميد الغاية وسعيد الخاتمة انت تقر انه لا يمكن ان يقال عن الابن انه ابن الروح لئلا يكون هذا اباه جيد . لكن انا لا اسلم بالنتيجة لان القضايا صحيحة . فانك لا تقر بانبثاق الروح من الابن مع كونك تقر ان هذا الروح روح الابن

المؤمن - نرجو حميد الغاية على كل حال اني لا اسلم بالنتيجة لان المقدمات تبعد كثيراً عنها فان هذا الروح لم يدع روح المسيح الا تحت الزمان بالنظر الى التجسد المجيد الذي بواسطته فاض على العالم كما تفيض المياه على الاراضي العطشانة واما الانبثاق فهو فوق الزمان

المرتاب - انت رجل مكابر ترى الحق وتحيد عنه والحاضرون شاهدوا

الى هذه المحاورة الى نهايتها وهذا هو السبب الذي دعاني الى ان اجملك تلتمس لي من سيدك الاقامة عنده مدة من الزمان فكذلك يجب عليك ان تلتفت غاية امكانك الى تأدية واجباتك الدينية واكمال فروضك الروحية من الصلوة وسماع كلام الله

الخادم — سمعاً وطاعة سأُتمم نصيحتك جهدي واتفرغ الليلة القادمة من كل اشغالي واكون من ضمن الذين يسمعون مناظرة المؤمن والمرتاب واحفظ ما اقدر ان احفظه وأبشرك يا سيدي ان التماسك باستمرارك عندنا مدة من الزمان قد وقع لدى سيدي موقع القبول وقد امرني ان ابلغك رضاءه وان اهتم بجميع ما يلزمك من الخدم

الضيف — شكر الله فضلك على مساعدتك وخدمتك لي وعوضك خيراً بدل اتعابك وكافأ سيدك بالهناء والسعادة . انت تعلم ان باكر نهار الاحد المبارك الذي فيه كل انسان مسيحي ينبغي لهُ ان يتوجه الى الكنيسة ويحضر الصلوة الاحتفالية وخدمة القداس الالهي فهل تريد ان ترافقني صباحاً الى البيعة لاؤدي ما عليَّ من الفروض

الخادم — انا رهين امرك في كل ما تريده سيما وان لي عادة ان اتوجه كل نهار احد صباحاً الى البيعة صحبة سيدتي واولادها لحضور القداس الالهي ومن حسن الطالع ان لسيدتي مولوداً جديداً مضى على ولادته شهران وقد عزمت على ان تعمده باكراً فان اراد الرب سنذهب معاً

قال الراوي — فشكرت الخادم على معروفه من نحوي وتناولت الطعام

وقصدت المنام فلما رآني على حال الاستعداد لذلك انصرف من عندي بسلام وفي الصباح دعاني فاستيقظت حالاً وذهبت برفقته الى الكنيسة وفي اثناء الطريق سألته عن سيدته عما اذا كانت لاتزال عازمة على تنصير ولدها فأجابني بانها لم تثنِ عن عزمها وانها ذهبت صحبة جماعة من النساء قبل ذهابنا بخمس دقائق فقلت له اظنك تريد ان تدرك سيدتك قبل ان تبلغ الى الكنيسة فانها ربما تحتاج اليك في امر من الامور فاصنع معروفاً واسرع عادياً لتدركها وانا اسير الهوينا واذا ضللت عن الطريق المؤدي الى البيعة سأستفهم عنه من الجائين والرائحين فلم يكد يسمع ذلك مني حتى ذهب يعدو مسرعاً ولما كاد يغيب عن نظري رأيته قد عثر وسقط على وجهه فبادرت اليه وفي اقل من لمح البصر ادركته فوجدته واقعاً مغشياً عليه والدم يسيل من جبينه وكانت قطعة من البلاط بجانبي فاخرجت المطوة من جيبي وبدأت انحت القطعة الى ان استخرجت منها تراباً ناعماً كبست به الجرح ومنعت عنه جريان الدم واحضرت ماءً غسلت به وجهه واشرت الى احد المارين فاحضر لي قطعة من السكر فاذبتها في كأس من الماء وعصرت عليها ليمونة فسقيته فاستفاق قليلاً ولم يدرِ ما حل به من المصاب فقويت عزمه ونزعت الخوف من نفسه وقدته بيدي الى الكنيسة واجلسته على احد البنوكة لينال راحته وتوجهت الى احد الكهنة واعلمته بجلية الامر فدعا القيم وبعث به الى المكان الذي تقف فيه النساء اللواتي يردن ان يعمدن اولادهن ليسأل عن تلك السيدة وبعد العمودية ان كانت المرأة موجودة ثم رجعت الى الخادم فوجدته قد نال راحته واستيقظ من غفوته وشعر بما حل به من البلاء الفادح والالم الواضح فلاطفته به وخففت من وجعه بالتعزية والصبر ثم تركته وجلت في الكنيسة انفرج على ما فيها من انواع الزينة وبدينها فوقع

نظري على منبر عريض متسع من الخشب مركوز على الارض ولم يخطر ببالي اني نظرت شكله في كنيسة من الكنائس الشرقية ماعدا في جمعيات الانكليز والبروتستانت فاستغربت لاول وهلة عند رؤياي له وعدت راجعاً الى الخادم وقلت لهُ

الضيف — اخبرني من فضلك ما الغاية من وضع هذا الكرسي في وسط الكنيسة فاني لم اتذكر الى الآن اني رأيت نظيره في كنيسة من كنائس الشرق فضلاً عن كنائس الاقباط فاني جلت في اماكن كثيرة ورأيت كنائس الروم والارمن والسريان ولم ار بينهن كنيسة تحوي نظير هذا الكرسي

الخادم — هذا الكرسي عمل ووضع في الكنيسة من مدة غير بعيدة فان اعيان البلد كانوا اصطنعوه ليقف عليه الواعظ ويعظ الشعب كل ليلة من فوقه

قال الراوي — انه لما طرق بسماعي اسم الواعظ خطر على بالي اللاهوتي ابن عم المرتاب فاردت ان استقصي عن جلية الامر وقلت للخادم

الضيف — من هو هذا الواعظ ألعله هو احد الكهنة الاقباط

الخادم — كلا يا سيدي بل هو انسان علماني يقال عنه انه بروتستانتي المذهب اجره اعيان الاقباط المائلين الى البروتستانت ليعظ في هذه الكنيسة باجرة خمسة جنيهات كل شهر وقد حاول جناب الاسقف ووجوه الامة القبطية ان يمنعوه عن ذلك فلم يستطيعوا اليه سبيلاً

الضيف — كيف استطاع هذا الشخص ان يرقى الى مثل هذه الوظيفة

الخطيرة الشأن والرفيعة المكان وهو بروتستانتي مع ان القانون لايسمح لاحد ان يرقاها الا اذا كان من الاكليروس وكيف عرف جناب الاسقف انه لايعلم التعليم القويم

الخادم — شاع في الاسماع انه احتال على نوال رتبة الشماسية من يد احد الاساقفة لاجل هذه الغاية ولما جاء ليتوظف بهذه الوظيفة تزيا بزي اولاد الكنيسة فنال مرغوبه ولم يستمر قليلاً حتى محصته التجارب واخبرته الحوادث وعلم انه ذئب في ثوب خروف فان خطبه برهنت المرار العديدة على فساد معتقده ورديء مقصده والهمة مبذولة الآن في طرده من الكنيسة ما لم يقو الحزب المائل الى البروتستانت على الحزب القبطي الحر الخالص

الضيف — وهلا تعلم اذا كان يعظ هذا النهار فاني لا اود ان اسمع الهجو باسرار الكنيسة في الكنيسة

الخادم — انا اعلم ان لهُ عادة ان يعظ بعد الفراغ من القداس واذا كان لا رغبة لك ان تسمع ذلك فتعال بنا الى كنيسة المعلم قلدس لنحضر الصلوة فيها فان وجهاء كثيرين يفضلون الصلوة فيها على غيرها

الضيف — من هو هذا المعلم قلدس ولماذا نسبت الكنيسة لهُ

الخادم — هو عريف فاضل في عمله مستقيم في دينه محمود السيرة وممدوح السريرة وقد نسبت الكنيسة لهُ لانه حافظ فيها على الطقس القبطي مرتأياً ان العنصر القبطي لا يتميز الا بطقسه القديم الاصلي بخلاف من ذهب الخلاف واحب ان يدخل في الكنيسة نظام البروتستانت وطقوسهم

قال الراوي — فأجبت طلب الخادم وتوجهت معه الى الكنيسة الصغيرة حيث وجدت جماعة كثيرة وجناب الاسقف محتفلاً بالصلوة مع بعض الكهنة

اما الخادم فتركني وخرج ليفتقد سيدته ولما انتهت الصلوة وتوجه جناب الاسقف الى دار الاسقفية تبعته على قصد ان اتعرف بهِ واتبرك بحضرته والتمس الدعاء الصالح منه وما بلغ محل الاستقبال وجلس على احد الكراسي الموضوعة فيه حتى ادركته وجثوت على ركبتي الى الارض ساجدًا وقبلت ايديه مرارًا وطلبت منه ان يباركني ويذكرني في صلواته ففعل ثم امرني بالجلوس بجانبه فجلست رغمًا عن ارادتي فاني كنت ظننت ان هذا المكان الذي اشغلته سيأتي من هو ارفع قدرًا مني واجل مقامًا ليجلس فيه ومن حسن الطالع لم يأت عند جناب الاسقف ليجلس معه غير واحد من الكهنة المتقدمين في العمر فجلس على جانبه الآخر وما كنت اعرف السبب في تأخر الناس عن المجي عنده فاستغربت لذلك ثم التفت جنابه نحوي واخذ يسألني عن امري ومن اين جئت والى اين اذهب فاخبرته عن كل ذلك فتكرم علي بالدعوة ان امكث عنده ذلك النهار فشكرته على حسن توجهاته اليَّ ولم اتم حديثي حتى دخل عليَّ احد تلامذة سيادته ووجه نحوي الكلام قائلاً ان الخادم فلان يستدعيك وهو واقف ينتظرك في صحن الكنيسة فاستأذنت من جناب الأسقف واعدا اياه ان اكون ضيفه هذه الليلة القابلة واحضر عنده من بعد الغروب بثلاث ساعات او ارسل لهُ خبرًا قبل الميعاد بساعة واحدة اذا كنت اتاق عن المجي ثم قبلت يديه وخرجت ابحث عن الخادم فوجدته واقفًا بانتظاري وقلقًا لعدم ذهابه صحبة سيدته فسكنت روعه وخرجت معه اخترق الجمع واسترق السمع فكنت اسمع احدهم يقول كذا والآخر

كذا حتى اجتزت الصفوف فحولت نظري نحو الخادم فرأيته اصفر اللون فعلمت انه لا يزال عنده ضعف بالدم وانه لا يستطيع ان يقطع المسافة مشيًا على القدمين ما لم يقع مغشيًا عليه فاستأجرت دابة واركبته عليها وسرت اتبعه من ورائه الى ان وصلنا بيت سيده فوجدنا اهل المنزل يسرُّون ويفرحون فنصحت الخادم الا يعلم احدًا بما جرى لهُ لئلا يتحول الفرح حزنًا والسرور كآبة فقبل نصيحتي ودخل بينهم يباشر خدمته على حسب عادته اما انا فلت الى غرفة الضيافة انتظر الغداء لانه كان وقت الظهر فاحضر الطعام وبعد الفراغ من الاكل خرجت الى ناحية محطة البابور متنزهًا ومتفرجًا وفي اثناء ما كنت ماشيًا شاهدت شمال البلد بناء منفردًا لوحده ولم اعلم ماذا يحوي ذلك البناء حتى فتقربت من بابه وسألت البواب عنه فاجابني قائلاً انه يحوي مدرسة المرسلين الاميركان وقبل صلوتهم ثم دعاني الى الدخول لاحضر الصلوة والوعظ فدخلت ولم ير قليلاً حتى لمحت من بعد المرتاب وابن عمه جالسين الواحد بجانب الآخر وبيد احدهما نشرة علمت بعد ما دنوت منها انها (المرشد) فجلست تجاههما وهما يقرآن لبعضهما بعض

الواعظ — اعلمني ماذا كان من امرك الليلة الماضية مع القبطي التقليدي وعلى اية حال انتهت محاورتكما فعسى المولى ان يكون منح القوة لجنانك والفصاحة للسانك والذكاء لقريحتك حتى قدرت ان تصد باجلى البيان وافصح [illegible] اقوال خصمك وتفند براهينه الكاذبة

[illegible] ابشر يا ابن عمي فاني ظفرت بذلك المدعي وانتصرت عليه [illegible] رواج المتاع جميع من كان حاضرًا في ذلك المحفل

المحافل حتى كاد يتمزق من شدة ما حصل لهُ من الغيظ والهوان والاحتقار والذل والعار ومع هذا كله فانه لم يكف عن الطلب الي للنزول معه في ميدان المناظرة وارجع انه لا يستطيع ان يعود الى الكلام في ذلك الموضوع الذي اطلنا البحث فيه فقل لي ماذا اصنع

الواعظ — اني من حسن طالعك يا ابن عمي تناولت اليوم من البوستة عدداً من المرشد ووجدت فيه اقتراحاً لا يمكن ان تبلغ قدرة صاحبك ومكانته الى الجواب عليه وهاك هو

قال الراوي فلم يكد المرتاب يسمع ذلك حتى تناول (المرشد) من يد ابن عمه وبدأ يتأمل فيه ولم يرفع نظره منه الا بعد مضي ربع ساعة وفي الختام طواه ودفعه الى الواعظ وقال له

المرتاب — سررت يا ابن عمي من هذا الاقتراح كثيراً وانا واثق مثلك ان صديقي القبطي سيلتقي دون الرد عليه خرط القتاد

قال الراوي فلما قال المرتاب ذلك قام كلاهما وتوجها تواً الى محل الصلوة فتبعتهما وكان موضوع الوعظ ذلك النهار صلوة صرف الروح عند الاقباط ففتح الواعظ فاه وبدأ يطعنهم بالمثالب ويدعي عليهم ويفتري وينسب اليهم كل امر رديء ويختلق الاكاذيب من نحوهم فكبر عليَّ الامر ولما لم يعد في طاقتي ان احتمل سماعه خرجت من المحفل قائلاً في ذاتي ان المقصود من الوعظ ائتلاف الناس مع بعضهم وعبادة الله الخالصة واما هذا الكلام فيوغر الصدور ويوجب النفور ويأتي بالشقاق ويحمل الناس على الكفر والنفاق ويضر بالهيئة الاجتماعية وكانت الشمس على وشك المغيب فتوجهت الى منزل اقامتي وفي نيتي ان اكتب

الى احد اصدقائي في مصر واكلفه ان يعتني باهل منزلي على قدر امكانه الى ان أعود اليهم وحددت لعودي شهراً من الزمان ففعلت ذلك وظرّفت الجواب وسلمته للخادم الامين ليرسله في البوستة وكان الأوان الذي يحضر فيه اعيان البلد قد حان فبدأ الجمهور يفد على الغرفة حتى ضاقت دونهم على اتساعها اما المؤمن فقد حملته اسباب على ان يتأخر وقتاً كبيراً عن المجيء فاخذ المرتاب عزاً به نخاف الاقباط سوء العاقبة وحسبوا لذلك الف حساب فارسلوا شخصين ليفتشا عليه فغابا حيناً وعادا وهما يقودان المؤمن بيدهما ولم يستقر جلوسه على احد الكراسي حتى فتح المرتاب فاهُ ووجه نحوه الخطاب قائلاً

المرتاب — يعز علينا ان تتأخر عن الحضور لعل الذي دعاك الى التاخر اسباب خير فاننا قلقنا جميعاً ولبثنا هذه المدة نكابد ألم الانتظار ألم تعلم ان هذه الجماعة فضلت استماع كلامي وكلامك على جميع مصالحها

المؤمن — بلى انا اعلم ذلك وانما الانسان في هذا العالم عرضة للخاطر والصدف فقد ساقني امر من الأمور واخرني عن المجيء الى هذا الوقت ألا يقبل لي عذر

المرتاب — نقبل عذرك على شرط ان تتعهد انك لا تعود الى مثل ذلك دفعة اخرى

المؤمن — اتعهد بذلك على عيني ورأسي وان شاء المولى نعوض ما فاتنا من الاخذ والرد وزيادة فماذا تختار ان تتخذ من المواضيع الدينية لتقطع به مسافة هذه السهرة

المرتاب ـ اني اختار منها الكلام على صلوة صرف الروح التى يؤديها كهنة الاقباط في اليوم الثالث من خروج روح الميت فانهم يعتقدون ان الروح ا خرجت من جسم اي انسان لا تزال تتردد الى المكان الذي خرجت ه من جسمها او الى الاثواب التي كان لابساً لها اوالى الفرشة التي كان راقداً يها وانها لا تنصرف من ذلك الا بصلوة الكهنة في اليوم الثالث ولا ريب ان ذا الاعتقاد الباطل الذي لا اساس له يهدم ركن التعليم المسيحى

المؤمن ـ لم تصب في اختيارك لهذا الادعاء واعتبارك له انه موضوع ني ينبغي البحث فيه فان المواضيع الدينية ان كانت صادقة او كاذبة هي ما كان لها لاقة ونسبة في الكتاب المقدس اوفي تاريخ الكنيسة اوفي كتب الاباء وماخالف لك بالنسبة للدين فلا يصح ان نطلق عليه اسم الوجود بل نعتبره من قبيل لاوهام والاحلام التي لا حقيقة لها واذا علمت ذلك فاقول ان ادعاءك لا اساس في كتاب من كتب الدين والمذهب تستطيع ان تسنده عليه فلا يبقى اذاً كلام فيه

المرتاب ـ هل تقدر تجد سبيلاً للانكار وتقول ان كهنة الاقباط لا يؤدون اليوم الثالث من خروج روح الانسان من جسمه فريضة صلوة صرف الروح منه

المؤمن ـ لا استطيع ان اجد سبيلاً لانكار ذلك ولكن هل تعرف المراد بقول العامة صلوة صرف الروح

المرتاب ـ لا اعرف المراد بذلك خلاف تسريح الروح كما يتبادر للمعنى

فاخبرني اذا كان يراد به شيء آخر

المؤمن ـ نعم يتبادر ذلك للمعنى ولكن المقصود بهذه الروح ليست روح الميت بل روح اخرى لان الصلوة التي تتم في ذلك اليوم تتم في غيره من يوم الاربعين ويوم حلول السنة وغيرها لكن صرف الروح لا يطلق الا على اليوم الثالث منها فاذاً لا بد ان يراد بصرف الروح خلاف ما اردته انت به وهذا الروح المقصود صرفه بالصلوة في ذلك اليوم هو روح الحزن من اهل الميت

المرتاب ـ اذاً ماذا تتضمن تلك الصلوة التي يجريها كهنة الاقباط في اليوم الثالث ويوم الاربعين ويوم حلول السنة

المؤمن ـ اقرأ الفصول والقطع التي تختص بهذه الصلوة فتجد انها تتضمن تعزية اهل الميت والصلوة من اجل نفسه.

المرتاب ـ ان الصلوة من اجل نفس الموتى بدعة من بدعكم الكثيرة وان لم تكن كذلك فاين الدليل الذي تبرهن به على انها تعليم انجيلي

المؤمن ـ ارجوك ان تتخذ اصلاً واحداً وقاعدة واحدة للمناظرة معي أَلا يكفي اني نزعت من فكرك ذلك الوهم الذي تاصل في عقلك وأَثبت لك الحقيقة افتريد ان نترك نقطة المناظرة الوحيدة ونقطع الوقت بلا فائدة فان موضوع الاخذ والرد والكلام والحديث في الامور الجوهرية التي يختلف بها البروتستانت عنا نحن الارثوذكس وقد تناظرنا الليلتين الماضيتين في امر واحد منها واما الصلوة من اجل انفس الموتى فهي من قبيل الامور التي لو اتفقنا بتلك لما اختلفنا بهذه

المرتاب – لا اظن انه توجد قضية جوهرية يهم كل انسان معرفتها اعظم من الوقوف على غاية الانسان ومآله

المؤمن – لِمَ لا تظن ذلك وانت تعلم حق العلم ان الايمان هو اصل والعمل فرع ومعرفة الاصل اهم من معرفة الفرع فيلزم الوقوف على الاصل الذي يحمل الفرع فاذا وقفنا على ذاك حينئذ يتسنى لنا بسهولة ان نقف على هذا

المرتاب – هذه المبادئ لا يستطيع احد ان ينكرها فهل يوجد اختلاف جوهري يتعلق بالايمان بيننا وبينكم غير الاختلاف الذي اطلنا الحديث فيه

المؤمن – نعم يوجد ذلك وهو يتعلق بكيفية الايمان بالمسيح فانكم تؤمنون به خلاف ما نؤمن بهِ فانكم تقللون من اعتباره وتنزلونه منزلة افراد البشر وتعتقدون بهِ انهُ ليس بالٰه وانتم تحذون في ذلك حذو نسطور المبتدع وتنسجون على منواله وتكيلون بمكياله (موسهيم قرن ٥ ق ٢ ف ٥ شرح حال الكنيسة المطبوع في فلتا سنة ١٨٦١ وجه ٨٩)

قال الراوي وما كاد يتم المؤمن عبارته هذه حتى صاح الحزب البروتستانتي وعلت اصواتهم قائلين هذا افتراء هذا كلام زور هذه دعوى باطلة نحن لا نقر بالمسيح ذلك ومن كثرة هرج القوم لم اعد اقدر ان اميز بين صوت الواحد والآخر واحب صاحب المنزل ان يسكن ضجتهم فلم يقدر ان يفعل ذلك وخاف سوء العاقبة فكلف اثنين من العقلاء واحد من هولاء وواحد من اولئك بتسكين الهيجان وارجاع السكون والامن والراحة والهدو ففعلا كذلك ثم امر بتقديم الاكل للعشاء فاخذ المدعوون يتناولون ما طاب من الطعام وان تكن شهوتهم قد

فقدت تقريباً من شدة المجادلة وتهيج الادمغة ببخار الغضب وبعد انتهاء الطعام انصرف الجمع

المسامرة الرابعة في ان العذراء والدة الله حقاً

قال الراوي فلما وجدت نفسي منفرداً تذكرت الوعد الذي وعدت به جناب الاسقف فتطلعت في الساعة فوجدت الوقت حان والميعاد قرب فقمت الى خارج ودعوت الخادم لينطلق معي فوجدته من سوء البخت غائباً فان الم الجرح كان تحرك عليه فذهب من شدة الوجع الى بيته فالتزمت ان انطلق منفرداً ولما بلغت الكنيسة وجدت الباب الغربي مقفولاً فقلت في نفسي لعلي اجد الباب الشرقي مفتوحاً ومن سوء بختي وجدته مقفولاً ايضاً فشرعت اقرع الباب وبعد مضي نصف ساعة سمعت صوتاً من داخل يقول لي ان ابانا الاسقف رقد نائماً ولا سبيل لايقاظه فما كدت اسمع ذلك حتى قفلت راجعاً وعدت اخبط ماشياً في الظلام الحالك ولما انتهيت الى منزل اقامتي وجدت الانوار مطفئة غير اني وجدت باب المنزل وباب غرفة الاستقبال مفتوحين فشكرت الله على عنايته بي ولما دخلت جاءت احدى الخادمات وانارت الغرفة واعرضت عليَّ العشاء فابت نفسي الاكل لشدة ما قاسيت من الغيظ فذهبت الى حال سبيلها وانا تمددت على فرشتي متأملاً في حوادث ذلك النهار المكدرة وقد اختطفتني سنة النوم فلم استفق حتى سمعت الخادم يوقظني باكراً فقمت من النوم وغسلت وجهي واديت فرض الصلوة وكان الخادم احضر لي الفطور لانهُ علم اني بت بغير اكل فتناولت من الطعام قليلاً لاني كنت غير معتاد على الاكل

، الصباح ثم سألت الخادم عن صحته فوجدته قد نقه من مرضه فحمدت الله
ذلك ودار بيني وبينه الحديث وقتاً كبيراً حتى [illegible] الاقامة فخرجت
تريض في شوارع المدينة ولم اخط قليلا حتى وجدت التلميذ اللاهوتي وابن
ه جالسين الواحد بجانب الآخر والناس محيطون بهما كالحلقة يسمعون اقوالهما
خترقت الجموع حتى اقتربت منهما واستطعت ان افهم كل كلمة بلفظها وكان
وضوع حديثهما في ما جرى ليلة امس من هجوم المؤمن على البروتستانت بقوله
م لا يحسنون الايمان بالمسيح ودفاع هؤلاء لهذه الدعوى بالصراخ والصياح
ان قال التلميذ اللاهوتي

لقد اخطأ اصحابنا يا ابن عمي فيما تظاهروا به من عدم الحشمة فانهُ كان
زمهم ان يطيلوا اناتهم الى ان يقفوا على حجة خصمهم على دعواه فكنت تقدر
ن تدحضها بصحيح البرهان وتخجل صديقك القبطي التقليدي واما الوقاحة
الشتيمة والبذاءة فلا تفيد في جانب الحق شيئاً بل تزيد المصاب وتوجب
شك في مبادينا فاجعل اصحابك ان يحاذروا من فعل ذلك دفعة اخرى

المرتاب – نعم غلط اصحابنا وبلغ من غلطهم الى ان قصدوا الفتك
صديقي مراً لو لم يستدرك الامر رجالنا العاقلون ويفرقوا منظومهم ويشتتوا
قوتهم ولكن ألا يوجد اصلاح لما تلف وتصحيح لما فسد وتجبير لما كسر

الواعظ – بلى يوجد ذلك فعليك ان تصلح غلط اخوانك الليلة القادمة
تنبيه عليهم قبل الشروع في المناظرة بان لا يتفوه احد منهم بكلمة نافعة او
ضرة وبهذه الواسطة تقدر ان تدرك الغاية المقصودة وتقف على ما يحتج به
صديقك تأييداً لدعواه .

قال الراوي فاجاب المرتاب راضخاً لنصيحة ابن عمه واعداً ان يفعل ما اشار
به عليه اما انا فتركتهما وتوجهت الى الدار الاسقفية قاصداً ان اشاهد جناب
الاسقف والبث عنده مسافة ذلك النهار فمن حسن بختي وجدت سيادته
واقفاً يتأهب للركوب وفي عزمه ان يزور المدير لامر ذي بال فحالما لمحني تبسم
ضاحكاً واشار لواحد من تلامذته ان يكرم وفدي الى ان يعود من عند المدير
فحالما دنوت منه سلمت عليه مقبلاً ايديه فقادني تلميذه الى محل الاستقبال ولم
استمرّ جالساً مع التلميذ نصف ساعة حتى عاد جناب الاسقف فتأكدت انه
لم يتأخر زيادة عن ذلك اكراماً لي فمالت عواطفي نحوه بالمحبة وصرت كلي
ألسنة شكر حامداً سامي مروءته فقضيت ذلك النهار عنده بغاية الوقار ولما جاء
اوان اجتماع اعيان اسيوط في منزل اقامتي استأذنت من جناب الاسقف
وانصرفت من عنده ذاهباً الى المنزل حيث وجدت الناس مجتمعين وسمعت
المرتاب يقول للمؤمن

المرتاب ارجو انك اغتظت مما سمعت ورأيت من اصحابي فانهم فعلوا
ذلك جهلاً منهم وانا قد وبختهم والزمتهم ان يقروا بخطائهم ويعترفوا بزلتهم وقد
وعدوني انهم لا يعودون الى هذا الارتكاب دفعة اخرى فارجوك ان تسامحهم
وتخبرني عما اذا كنت تحتج عن دعواك علينا باننا لا نحسن الاعتقاد بالمسيح

المؤمن – ثق اني لم اتأثر مما حصل من اصحابك فانا غافر لهم ذلك
كما اني ارجوك ان تسامح اصحابي وتغفر لهم واما دعواي على البروتستانت بانهم
لا يحسنون الايمان بالمسيح فانا اثبته من انهم لا يلقبون والدته باسم والدة الاله

المرتاب – اننا لا نستطيع ان نعلم خلاف ما يعلمه الكتاب المقدس فان هذا

اللقب لم يرد في سفر من اسفاره ونحن لسنا بملتزمين ان نخرج عما اوحاه الله لنا العلنا نحن احكم من الله فعلى ماذا تستند في تلقيبك العذراء بام الله من اقواله

المؤمن — اعلم ان الشيء يثبت بالدليل والدليل يكون اما بالمطابقة او بالتضمن او بالالتزام وقد حازت هذه الحقيقة سائر انواع الدليل المذكورة والتي تضمنها الكتاب المقدس واليك البيان ان الانجيل صرح مراراً كثيرة بان مريم هي ام يسوع (مت ٢ : ١٣ و١٩ و٢٠ ويو ٢ : ١—٥ واع ١ : ١٤) فهذا اللقب الانجيلي الذي يظهر لك انه بسيط لا معنى له يظهر لي انه يتضمن اللقب الذي القب به انا العذراء ألاّ يسلم اصحابك بان اقوال الكتاب يفسر بعضها البعض الآخر اظنهم يسلمون بذلك

المرتاب — بلى وهذه القاعدة هي الاولى عندهم لتفسير الكتاب المقدس

المؤمن — ان هذا الاصل الذي جعلته اساس كلامي يتضمن اللقب الذي اريده لأمرين اولها لان يسوع هو المسيح (مت ١٦ : ١٦ يو ١ : ٢٧ ولو ٢ : ١١) والمسيح هو الاله (رو ٩ : ٥) فاذاً العذراء هي ام المسيح وام الاله كما هي ام يسوع لان يسوع هو المسيح وهو الاله وثانيهما لان يسوع لفظاً ومعنى هو المخلص (مت ١ : ٢١) والمخلص هو الله (لو ٢ : ١١ و١ تي ١ : ١١ و٢ : ٣ تي ٣ : ٤٥)

فاذاً العذراء هي ام المخلص وام الله كما هي ام يسوع لان يسوع هو المخلص والمخلص هو الله

المرتاب — ماذا تسمي هذا القول من انواع الدليل

المؤمن — اسميه دليل التضمن وهو كثير اقتصرت منه على ما ذكرته واما دليل المطابقة فهو ألا يسلم اصحابك بان الوالدة تسمى اماً لمولودها والمولود منها ولداً

لها نعم يسلمون بذلك فقد دُعي المولود من مريم ابن الله (لو ١ : ٣٥ مر ١ : ١ غل ٤ : ٤) ودُعي الله معنا (اش ٧ : ١٤ مت ١ : ٢٣) فمريم اذاً تدعى ام ابن الله وام الله معنا ثانياً ان اسم الرب او الإله اذا أُطلق على المسيح لا يراد به غير الله سبحانه وتعالى والحال ان العذاراء دعيت صريحاً ام الرب (لو ١ : ٤٣) والمولود منها دُعي إلهاً قديراً اباً ابدياً رئيس السلام (اش ٩ : ٦) فاذاً العذراء هي ام الرب وام الله واما دليل الالتزام فهو لا يستطيع القلم ان يحصره فان الصفات التي اتصف بها المسيح لا يتصف بها غير الله والاعمال التي عملها المسيح لا يعملها الا الله فالمسيح اذاً هو الله وبالتالي فمريم هي والدته فدعوى اصحابك ان الكتاب لم يرد فيه ان العذراء ام الله هي باطلة لا اساس لها

المرتاب — اصحابي يقرون بان المسيح هو الاله والرب وابن الله لكنهم لا يقرون بان العذراء هي ام الله لئلا يؤدي ذلك بهم الى ان يقروا بان ام الاله يجوز لها العبادة

المؤمن — ان الاقرار بان المسيح هو الله وان مريم التي هي ام المسيح ليست اماً لله هما على طرفي نقيض ويستوي عندي القائل بان المسيح ليس هو الله مع القائل بان العذراء ليست ام الله لان نفي احد طرفي القضية يوجب اثبات الاخرى فان كنتم تقرون ايها البروتستانت بان المسيح ابن مريم وان المسيح هو الاله فلمَ لا تقرون ان الاله ابن مريم

المرتاب — نقرّ بالاول لانه اساس تعليمنا وننكر الثاني لانه يؤدي بنا الى الشرك

المؤمن – ان الشرك لا موقع له في هذا الكلام . هل تقدر تقول ان والدة
خديونا المعظم هي ام عباس باشا فقط لا ام الخديو لانها ليس مشتركة معه
السلطان والامر والنهي والقبض والنقض والحل والربط وان قلت ذلك
لا تكون في اعين السامعين مجنوناً وتقوم امامهم مقام من لا عقل له فانها لو لم
تكن ام الخديو لما كانت ام عباس باشا والحال انها ام عباس باشا فاذاً هي ام
الخديو لان عباس باشا هو الخديو فقولك ان ام عباس باشا ليست هي ام الخديو
نتيجة كاذبة ما لم تدعي ان عباس باشا ليس هو الخديو فتكون ام عباس باشا
غير ام الخديو واما اذا قلت ان عباس باشا هو الخديو فحينئذ ينتج ان الوالدة
هي ام الخديو لان القياس يكون هكذا . الوالدة ام عباس باشا وعباس باشا هو
الخديو فالوالدة ام الخديو ولا ارى من الضرورة ان اورد لك ميزان هذا القياس
لتعلم صحة نتيجته وصدق قضاياه .

المرتاب – لا انكر ان ام عباس باشا هي ام الخديو لان الاول هو الثاني
ولذلك هي ام هذا ولكن ما النسبة بين هذا الكلام وبين كلامنا فان الفرق
بينهما بعيد

المؤمن – ان هذا القياس التمثيلي الذي اوردته لك يطابق تمام المطابقة
ما نحن بصدده فانك تقر ان العذراء هي ام يسوع كما ان الوالدة هي ام
عباس باشا وان يسوع هو المسيح كما ان عباس باشا هو الخديو وان المسيح هو
الاله كما ان الخديو هو خديو مصر فتسلم بهذه القضايا لكنك من سوء البخت
لا تسلم بنتيجتها فلا تقر ان العذراء هي ام الاله كما اقررت ان الوالدة هي ام
خديو مصر . الا تعلم ان القضايا لا تثبت ولا يكون لها محل ولا عبرة بها بلا

نتيجة وان النتيجة التي تتمسك بها الآن تفسد عليك قضاياك التي بها تحيا
وبدونها تموت حيث يجري قياسك على هذا المنوال مريم ام يسوع والحال ان
يسوع ليس هو المسيح والمسيح ليس هو الله فمريم ليست ام المسيح ولا ام الله
فتكون نتيجتك على حسب هذه القضايا صادقة وتخرج بذلك عن كونك مسيحياً

المرتاب – لماذا تجرح حاسياتي بهذا الكلام . الا تذكر ماذا جرى البارحة
من القلق والشغب والاضطراب حتى حمل ذلك بعضهم على قتلك فنحن مؤمنون
بالمسيح انه الاله وكتبنا ملآنة من البراهين والحجج على اثبات الهية السيد
المسيح وقد الف ولا يزال يؤلف اصحابنا المؤلفات الكثيرة بهذا الشأن فالاقرار
بان العذراء هي ام يسوع او ام الاله لا يفيد ولا يضرّ ولا يؤدي الى الخلاص
ولا يبعد عنه

المؤمن – انا لا انكر انكم تقرّون بالهية المسيح لكني انكر عليكم دوامكم
على هذا الاقرار فانكم تثبتون وتنفون وتقرّون وتنكرون وتوجبون وتسلبون
وتؤمنون وتكفرون في الآن الواحد فاني حين احدكم تؤمنون بان المسيح
هو الاله احدكم تقولون ان هذا المسيح ليس هو الاله حين تقولون ان العذراء
التي هي ام المسيح ليست ام هذا الاله . الا تعلم ان المقدم من القضية الشرطية
المتصلة لا يمكن ان يقوم بمعزل عن التالي منها مثال ذلك ان كانت الشمس
طالعة فالنهار موجود فترى ان التالي الذي هو فالنهار موجود امر لازم لتقدم
الذي هو ان كانت الشمس طالعة وكذلك التالي من قولنا فمريم ام الاله
امر لازم لوجود مقدمه الذي هو ان كان المسيح الها ثم ان اثبات احد طرفي
القضية الشرطية الاستثنائية ينفي دائماً طرفها الآخر فلو قلتم ان المسيح المولود من

مريم اما ان يكون الهًا او يكون غير اله لكن المسيح المولود من مريم غير اله انج ان المسيح ليس باله واذا قلتم ان المسيح اله لكن المسيح المولود من مريم ليس باله فتكون قضيتكم قضية مانعة الخلو لا نتيجة لها لانكم توجبون بها السلب والايجاب والنفي والاثبات لان الضدّين لا يجتمعان ولا يرتفعان ويكون قياسكم هكذا ان المسيح اما ان يكون الهًا او غير اله لكنه اله وغير اله انج انه اله وغير اله وذلك من اعظم المحالات

المرتاب — هذا الكلام لم اسمع به قط وهو غريب عن فهمي ولا استطيع ان اعرف له اوّلاً من آخر ولست اريد ولا اقبل ان ابحث في ما لم يعلنه الله للبشر والحال ان هذا الكلام تكلفني بالبحث فيه فوق ما اراد الله اعلانه لي (المرشد عـ١٢٥ من سنة ١٨٩٥) فالعلم باطل والفلسفة كاذبة في جانب تعليم الكتاب المقدس

المؤمن — لِمَ تتوهم ان ما اعلنه الله من العلم للبشر في كتابه العزيز هو مخالف لما منحه لهم علمًا طبيعيًا وعقلاً ودركًا وفهمًا وبداهة وتصورًا ألا تعلم ان الله هو مصدر الكتاب والعقل معًا وان ما يعلمه ذاك يعلمه هذا وان كان يفوقه ادراكًا وان المساعي دائمًا مبذولة من ارباب الدين وفي مقدمتهم اصحابك للتوفيق بين تعليم الكتاب والعلم وتطبيق الاول على الآخر فلو كانت مبادئ الكتاب المقدس لاسمح الله تختلف عن مبادي العقل الاولية ولا تحتمل ان تمتحن بمحك العلم وتختبر بمسباره لكنا نقول على الدين والدنيا السلام والحال ليس الامر كذلك بل ان الكتاب والعقل هما من اصل واحد فتعليمها اذًا هو واحد

المرتاب — أطِلْ اناتك واصبر عليّ حتى افاوض ابن عمي بهذه الاقوال

جميعها وارى ماذا يجيبني به واجي اليك الليلة الآتية ان اراد المولى وتتم الكلام والبحث في هذا الموضوع فاسمح لي اذًا بالانصراف لانه آن وقت النوم

المؤمن — افعل ما تريد واذهب بسلام

المرتاب — اذًا ليلتك سعيدة

المؤمن — اسعد الله مساك يا حبيبي

❋ المسامرة الخامسة في رد اعتراضات البروتستانت ❋

❋ على لاهوت المولود من مريم ❋

قال الراوي فما كدت اصدق ان مسامرة هذه الليلة انتهت بسلام حتى طابت العشاء فتعشيت ونمت حالاً ولما طلع النهار اخذت كراسًا ابيض وجعلت اكتب فيه سائر الحوادث التي جرت امامي وكل الاقوال التي سمعتها كلمة كلمة ولم اتمّ ذلك حتى ملأت الشمس فخرجت لكي امشي خارج المدينة قليلاً وعدت حالاً فوجدت الناس قد اجتمعوا على حسب عادتهم ولم اتمكن ذلك النهار من ان اعلم ماذا جرى من امر المرتاب مع ابن عمه فتأسفت لذلك ثم انعقدت جلسة المناظرة واخذ احد المتناظرين يقول للآخر

المرتاب — ان الانجيليين كما انهم يقرون باطنًا وظاهرًا وسرًّا وعلنًا ان السيد المسيح هو الاقنوم الثاني من اللاهوت المساوي للآب في الجوهر والمجد يعظمون ويطوّبون والدته العذراء مريم ولا ينكرون ان السيد المسيح هو الاله المساوي مع الآب في القدرة والمجد وانه ابن ومولود ورضيع وطفل ويافع وصبي وشاب وكهل وان مريم امٌّ له ومرضعة ومربية (المرشد عـ١٢٠و١٢٥ لسنة ١٨٩٥

لكنهم لا يقولون ان العذراء ام الله كما تقولون انتم ايها الاقباط وهم محقون في عدم تلقيبهم للعذراء بام الله لاسباب كثيرة

المؤمن – من غرائب الامور كونكم في الوقت الواحد والآن الواحد توجبون وتسلبون وتثبتون وتنفون فقل لي وعمو ايك على ماذا يرجع الضمير في قولكم (وان مريم امٌ لهُ) وقولكم (والدته العذراء) مريم الا يرجع في الاول على قولكم (ان السيد هو الاقنوم الثاني من اللاهوت المساوي للاب في الجوهر) وفي الثاني على قولكم (ان السيد المسيح هو الالهُ المتساوي مع الاب في القوة والمجد) فهل يوجد فرق بين قولكم (ان العذراء مريم هي والدة السيد المسيح الاقنوم الثاني من اللاهوت وان مريم ام المسيح الاله المتساوي مع الاب في القدرة والمجد) و بين قولنا ان العذراء مريم ام الله او ام الاله اني لا اعلم كيف تستجيزون القول الاول وتستقبحون الثاني ومع ذلك فقل لي من فضلك ما هي الاسباب التي تحملكم على عدم تلقيب العذراء بام الله

المرتاب – ان الاسباب التي تمنع اصحابي عن تسمية مريم بوالدة الاله هي اولاً الشفاعة فلو سلمنا بان العذراء ام الله لكنا نثبت لها حق الشفاعة ثانياً عدم تلقيب الملاك لها بام الاله واقتصاره على ان يدعوها ام الصبي (مت ٢ : ٢٠) وتلقيب الانجيل والرسل لها بام يسوع (اع ١ : ١٤) وتسمية المسيح لها بامرأة (يو ٢ : ٤) دون ام الاله ثالثاً اننا لو سلمنا بان العذراء هي ام الله والام بالطبع سابقة لكان الله مسبوقاً رابعاً ان من يعتقد ان للمسيح طبيعتين لا يمكنه ان يلقب العذراء بوالدة الاله (المرشد عـ ١٢٥ و١٢٠ و١٤٩ لسنة ١٨٩٥)

فهذه هي الاسباب التي حملت اصحابي على ان ينكروا ان العذراء هي ام الله

المؤمن – ان هذه الاسباب التي تظن انها قوية هي مؤسسة على رمال

الاباطيل فلا تحتمل ادنى اختبار او امتحان فان دعواكم الاولى بان هذا [illegible]ب يوجب لها حق الشفاعة هي باطلة لان عندنا من القديسين الذين تشفع بهم لدى المسيح عدداً لا يحصيه الا الله ومع ذلك فلم نجعل احداً منهم اباً ان كان قديساً او اماً ان كانت قديسة للاله لنثبت له حق هذه الشفاعة والثانية باطلة ايضاً لان الملاك كما انهُ دعاها في هذا المكان بام الصبي دعاها في مكان آخر بانها والدة القدوس ابن الله (لو ١ : ٣٥) والمسيح الرب (لو ٢ : ١١) والانجيل لا فرق عنده بين اسم يسوع من اسم المسيح من اسم الاله كما اوضحت لك ذلك قبل برهة راجع ايضاً (في ٢ : ٥ – ١٠ الاول ١ : امي ٢ : ٥)

والدعوى الثالثة باطلة ايضاً لان هذه الصفة التي نالتها العذراء نالتها بالكيفية التي صار بها الاله انساناً على حد قول الانجيل والكلمة صار جسداً (يو ١ : ١٤) فصارت العذراء ام هذا الاله الذي صار انساناً و بالتالي اماً

والدعوى الرابعة باطلة ايضاً لانهُ يوجد من الكنائس من يقول بالطبيعتين للمسيح نظيركم ومع ذلك فانهم يعترفون معنا جهراً بان العذراء مريم هي ام الله لانهم يعتقدون ان المسيح اقنوم واحد الهي محض كما تعتقدون ذلك فلا سبيل لاصحابك ان يتمسكوا بمثل هذه الاسباب و يتحكوا بها

الفصل الثاني

(في الاسرار)

﴿ المسامرة السادسة في المعمودية ﴾

قال الراوي فلم يبدِ المرتاب بعد هذا الكلام ادنى اعتراض وانما قال ان هذه المسألة لا اهمية لها عندنا فالاقرار بان مريم ام الله وانكار ذلك سيان

عندنا وانتهت المسامرة بهذه العبارة الاخيرة وبدأ ينصرف كل واحد من الحاضرين الى حال سبيله الى ان خرج الجميع وبقيت منفرداً فدخل عليّ الخادم على حين بغتة وعيناه تدمعان رغماً عن اجتهاده على اخفاء ما يضمره من الحزن فاضطربت لهذا المنظر وقلت

الضيف – ماذا جرى من الامور المكدرة حتى آلت تلك الحال الى هذا المآل

المرتاب – يشق عليّ ان اخبرك يا سيدي فانه لم تسبق لي عادة ان اكون مبشراً بالشرور والامور المحزنة

الضيف – بادر فاخبرني فاني قلقت جداً وركبتاي قد ارتعشتا من الخوف والرعب فقل لي بالله ماذا حدث

الخادم – من سوء بختي يا سيدي ان ابن سيدتي مولودها الجديد الذي اجرت تعميده الاحد الماضي قد مرض المرض الاخير وتوفي هذه الساعة

الضيف – لا حول ولا قوة الا بالله ما هذا المصاب العظيم ما هذا الخطب الجسيم ليعزّ المولى والدي هذا الطفل . ان احكامك يا رب غير مدركة ترى ماذا يفعل سيدك يا ولدي أليس من المحتمل ان يؤخر عرس والده

الخادم – بلى فانه سيؤخر العرس الى غير هذا الوقت ما لم يؤثر عليه احد بالكلام ويعزّيه على هذا المصاب

قال الراوي ومن شدة ما اعتراني من الحزن الشديد بتُّ بدون اكل وما انتشر في الصباح هذا الخبر المشوم بين اهل اسيوط حتى هرعوا جميعاً ليؤدوا فروض التعزية فغص المنزل من المعزّين وكل ما خرج جمع كان يدخل غيره الى ان انتهى النهار وجاء المؤمن والمرتاب على سبيل عادتهما بدون ان يخبرهما احد بما حدث فلما رأيا هذا المنظر الفظيع ارتاعا لوقتهما وجلسا مع المعزّين فلما

سمع المرتاب احد الاقباط يقول في تعزيته لوالد المتوفى انه يجب ان تشكر الله على كل حال وعلى نوع اخص ان ابنك توفي مكتسباً حلة البرور مكتسباً نعمة المعمودية المقدسة ! التفت الى المؤمن قائلاً

المرتاب – ما اكثر بدعكم يا صديقي وتمويهاتكم على عقول الناس أسمعت ماذا يقول هذا الرجل الجاهل ألعله يظن ان من يموت بلا عماد لا يستوي مع من يموت بعماد فاذا كان هذا ظنه فقد بعد عن مركز الحقيقة

المؤمن – ألم تقرأ ما قاله المسيح بهذا الخصوص وهو (ان كان احد لا يولد من الماء والروح لا يقدر ان يدخل ملكوت الله (يو ٣:٥) من امن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن (مر ١٦:١٦) »

المرتاب – وانت يا صديقي تتنازل الى هذه الافكار السافلة وتتشبث بها وتتمسك لقد طاش سهمك وخاب ظنك فان هذين النصين لا يراد بهما كما اردت فالنص الاول لا يلزم ان يفسر تفسيراً حرفياً بل مجازياً ومعناه « ان لم يجتنب الانسان العشرة الرديئة ويحصل على تجديد الذهن فلا يقدر ان يدخل ملكوت الله (المرشد عـ ١٤٩ صحيفة ٤٥١ لسنة ١٨٩٥) واما النص الثاني فالمقصود به الايمان فقط كما قال ومن لم يؤمن يدن (مر ١٦:١٦) ومن شدة الجهل انكم تبالغون في الاعتقاد بالمعمودية وتؤمنون انها باب الخلاص ومنبوع ومطهر للخطايا وأمٌّ يلد منها المعتمد الولادة الثانية ويتجدد بالروح القدس مع انكم لا تستطيعون ان توردوا آية واحدة من الكتاب لتعضدوا به هذه الآراء الباطلة

المؤمن – لا أواخذك على لومك وتعنيفك لنا كما اني لا اواخذ اصحابك واومهم على تاويلهم لذينك النصين اللذين اوردتهما لك وغيرهما لعلي ان لا فائدة

عند اصحابك ولا رابطة لهم في تفسير اقوال الله المقدسة لانهم ياولونها على حسب ماتسول لهم انفسهم لا على حسب ما يريده الله منها فقل لي وثمر ايك اذا كان ذلك النص الواضح الصريح الذي اسس به المخلص سر معموديته المقدسة وجعلها الولادة الثانية وجعلها شرطاً لدخول الملكوت يعتبرونه قولا مجازياً لايفهم من ظاهر الفاظه الا معنى معنى ولا يدل على المعمودية بالاصالة واذا كان النص الثاني الذي جعل فيه المسيح الاعتماد شرطاً للخلاص كما جعل الايمان بقوله (من آمن واعتمد خلص) فانك ترى ان جواب الشرط الذي هو خلص واقع جواباً للاعتماد كما هو واقع للايمان لا يشمّ) منه اصحابك رائحة الحقيقة لوجوب المعمودية فما حيلتنا بهم حين يضعون افكارهم اساساً لتفسير اقوال الله وتاويلها ويفسرونها على حسب هوائهم

المرتاب — ان اصحابي يعتقدون بوجوب المعمودية وضرورتها ولزومها لكنهم يقرّون من جهة اخرى ان لا فائدة فيها بل انما هي علامة يمكن ان يكون المسيحي مسيحياً بغير الاعتماد فيها · اما انها ضرورية فلان المسيح اسسها والكنيسة قبلت هذا التاسيس في جميع اجيالها واما انها غير نافعة وليست شرطاً للخلاص فلانه لم يأتِ نص صريح في الكتاب يفيد ان المعمودية نافعة وشرط يتوقف عليه الخلاص

المؤمن — اما قولك ان المعمودية عند اصحابي هي ضرورية وواجبة لكنها غير مربحة وليست بشرط للخلاص فهو قضيتان يخالف احداها الاخرى فان المبدأ العام عند اصحابك هو (ان ما لا فائدة فيه لا ضرورة لهُ ولا لزوم) وعلى ذلك تلتزم انت واصحابك باحد امرين وهما اما انكم تعتبرون ان المعمودية ضرورية وواجبة وبالتالي مفيدة ونافعة ومربحة للحيوة الروحية وشرط للخلاص او انها

لا ضرورة لها ولا فائدة فيها فان كان الاول فحينئذ يبقى لا فرق بيننا وبينكم في المعمودية ما عدا في كيفية ممارستها واستعمالها وان كان الثاني فيلزمكم ان تبطلوا استعمالها من جمعياتكم وتمحوا ذكرها من كتبكم واما دعواكم على انه لم يأتِ نصٌ صريح يؤيد فائدة هذه المعمودية فهو لانكم تأوّلون كل ما ورد عنها من الاقوال السيدية والنصوص الرسولية تأويلاً استعارياً وتفسرونها تفسيراً مجازياً وبهذا التفسير الذي لا رابطة لهُ عندكم ولا قاعدة تجعلون الكتاب المقدس مجموع روايات وحواديث وحكايات كاذبة وعبارات فارغة واخبار لا حقيقة لها ولا واقع · فانكم اذا كنتم تتخذون قول الرسول (ام تجهلون اننا كل منا اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدُفنا معهُ بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الاموات بمجد الاب هكذا نسلك نحن ايضاً في جدة الحيوة (رو ٦: ٣و٤) بطريق الاستعارة فماذا يرجى منكم ومن عملكم الا اتلاف الكتاب واذا كنتم تفهمون من قوله (وبه ايضاً خُتنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم ايضاً معه بايمان عمل الله الذي اقامه من الاموات (كو ٢: ١١ و ١٢) خلاف المعنى الصريح والظاهر من الفاظه فماذا نؤمل منكم غير افساد النصوص واذا كنتم تاولون قوله (ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله واحسانه لا باعمال في برّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس (تي ٣: ٤و٥) فاي اصلاح نتوقعه منكم واية محاماة عن سلامة الاسفار ننتظرها منكم فانكم تفسدون بذلك اقوالها وتعوجون معانيها واذا كنتم تتخذون بطريق الاستعارة والمجاز قوله عن عمل المسيح في كنيسته (لكي يقدسها مطهراً اياها بغسل الماء بالكلمة (اف ٥: ٢٦) ولا تجعلون لهذا الكلام اهمية ولا فائدة للمعمودية عندكم فكيف تدعون

انكم انجيليون وتفخرون بالابواق انكم المصلحون الشديد والمحافظة على اقوال الله الا ينتج من عملكم هذا بتصريفكم لايات الكتاب الى غير معناها انكم اعداء الحق المبين واذا كنتم لا تنظمون المعمودية في سلك مبادي الايمان الجوهرية كما فعل الرسول بقوله (رب واحد ايمان واحد معمودية واحدة (اف ٤ : ٥) حيث جعل المعمودية في منزلة الاقرار بالله والايمان به بل انكم تقولون ان هذا الكلام كلام مجاز واستعارة لا اعتبار له ولا قيمة فكيف تعتبرانكم تعلمون في الانجيل تعليماً مستقيماً

المرتاب – شددت الحجاك علينا ياصديقي واكثرت من كلامك العلك تظن ان الحقيقة لا تتبين ولا تقوم على اثباتها الحجة الا بكثرة الكلام وشقشقة اللسان فانك لو اردت ان اورد لك من النصوص التي لا ينبغي ان تفهم فهما حرفياً للأت لك الصحف الكثيرة

المؤمن – انا اعلم انك تستطيع ان تفعل ذلك واكثر منه بل انك تقدر ان تجعل كل اقوال الكتاب اقوالاً مجازية وانا اعذرك في ذلك لان لا قاعدة لك تستطيع ان تميزبها بين القول الحقيقي والمجازي واما انا فاطلب اناتك علي لكي اتمكن من ان امرئ لك باقي اما اتذكره الآن من النصوص التي تبرهن على شرف المعمودية ومنزلتها العظيمة ثم بعد ذلك اريك الطريقة التي تقدر ان تفرق بها بين الحق والمجاز

المرتاب _ افعل ذلك جزاك الله عنه خيراً

المؤمن _ اسمع قول الرسول بطرس لليهود الذين اثر فيهم خطابه وطلبوا اليه ان يريهم طريق الخلاص حيث قال لهم (توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس (اع ٢ : ٣٨)

واسمع قوله في الرسالة (الذي مثاله يخلصنا نحن اي المعمودية لا ازالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح (ابط ٣ : ٢١) واصغ لما قاله التلميذ حنانيا الدمشقي لشاول (والآن لماذا تتوانى قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب (اع ٢٢ : ١٦) ولا اظن انك تجهل كيفية قبول اهل السامرة للايمان على يد الشماس فيلبس الذي عمدهم بدون ان يمنحهم الروح القدس ولم يمنح لهم الا بالطريقة التي استعملها الرسولان يوحنا وبطرس اللذان ارسلا بامر الرسل والمشائخ فذهبا اليهم ووضعا عليهم ايديهما فقبلوا بواسطة ذلك تلك العطية الروحية (اع ٨ : ١٢ – ١٧) او انك تجهل الحادثة التي جرت على يد الرسول بولس فانه لما وجد نحو اثنى عشر رجلاً من المؤمنين في افسس لم يعتمدوا بمعمودية المسيح بل كانوا اعتمدوا بمعمودية يوحنا لا غير عمدهم باسم الرب يسوع ووضع عليهم يديه فاقبل عليهم الروح القدس (اع ١٩ : ١ — ٧) فكيف يجوز في حكم اصحابك ان تكون هذه النصوص والوقائع والحوادث اقوالاً مجازية لا يفهم منها المعنى الذي يتبادر للفهم ولا تجعل لسر المعمودية مبدأ واساساً وقاعدة واصلاً فترى على اية نصوص كتابية أخرى يبنون حكمهم و يجزمون بضرورة المعمودية ووجوب ممارستها واستعمالها عندهم ولماذا لا يفسرون تلك النصوص الكتابية الأخرى المفترض وجودها بطريق الاستعارة والمجاز والتشبيه والتمثيل كما فعلوا بغيرها بل انهم اولوا فقط هذه الاقوال التي اوردتها لك والتي لم اوردها . وما هو القيد عندهم الذي يجعل اقوالي التي احتججت بها مجازية و يجعل غيرها حقيقية ويميز بين هذه وتلك وما هي الرابطة التي تفرق بين النصوص التي تبرهن عندنا على شرف المعمودية وتأثيرها في انفس المعتمدين بها وتبرهن عند اصحابك على لا شيء من هذا القبيل وبين نصوص أخرى

ليست بأقل اهمية تبرهن على حقائق الدين المسيحي كالتعليم بسر التثليث والتوحيد (مت ٢٨ : ١٩) وقيامة الجسد (يو ٥ : ٢٨ و ٢٩) والدينونة مت (١٦ : ٢٧) والحيوة الابدية (مت ٢٥ : ٣٤) والجحيم (مت ٢٥ : ٤١) ووجود النفس في الانسان (مت ١٠ : ٣٨) والحبل بالمسيح وظهور الاله متجسداً (لو ١ : ٣٥) الى غير ذلك من الحقائق الانجيلية والامور الجوهرية التي علم بها المسيح ورسله فلماذا لا تكون هذه الامور مجازية وعبارات تمثيلية وتشابيه واستعارات ورموز واشارات نظير تلك وما الذي يجعلنا نرتاب بنصوص المعمودية المذكورة ونفهمها على خلاف ظاهر اقوالها ونعتبرها مجازية ولا يجعلنا نرتاب بهذه الحقائق الاخرى ونفسرها تفسيراً مجازياً بحيث لا يعود يتساوى الحق عندنا والمجاز والصورة والذات والجوهر والعرض واذا كانت هذه العبارات عندنا حقائق فلماذا لا تكون الأخرى كذلك وان لم تكن هذه حقائق ولا تلك ايضاً فماذا تكون منزلة كتابنا في اعين العالم الا منزلة كتاب يحوي خرافات واكاذيب ككتاب الميثولوجيات عند الوثنيين

المرتاب — نعم يجري الامر كذلك اذ لم يوجد قيد يجعلنا ان نميز بين الحق والمجاز في اقوال الله المقدسة ولابد ان اصحابي يدركون ذلك القيد ويعرفونه حق المعرفة ويقدرون ان يفرقوا به بين المثال والاستعارة والتشبيه والمجاز وبين غيرها وبهذا القيد عينه اعتبروا كل ما اوردته انت لي بطريق المجاز ولكن هل لك ان تستطلعني على ذلك القيد ان كنت تعرفه وتبرهن لي به على ان ما اوردتهُ هو حقيقي

المؤمن — نعم لي ان افعل ذلك اعلم ان القيد الذي يميز بين ما هو حق وبين ما هو مجاز هو (١) ان الكلام في المكان الواحد لا يمكن ان يكون

مرموزاً اليه من جهة ورمزاً من جهة اخرى اي لا يمكن ان يكون حقيقة مرموزاً بها رمز من الرموز ويكون هو بعينه رمزاً يتم بغيره (٢) ان النص الواحد الذي يحوي بعبارة واحدة عدة قضايا يستحيل ان يكون بعض تلك القضايا جوهرية وحقيقية والبعض الأخر مجازية (٣) ان الشيء لا يمكن ان يكون حقيقة تفسر ما هو مجازي ويكون مجازاً يتوقف المعنى به على حقيقة اخرى (٤) ان ارادة المتكلم تبين من قرائن كلامه والحقيقة التي يريدها تظهر باكثر جلاء من تكريره لها بعبارة واحدة (٥) ان الاقوال المجازية والامثال والحوادث الاستعارية الواردة في الكتاب المقدس مقيدة اما باداة من ادوات التمثيل والتشبيه او بقرينة تسبق الكلام او تليه

المرتاب — فهمت هذه القواعد جميعها ولكن كيف تطابقها على النصوص وتميز الحقيقة بها من غيرها

المؤمن — مثال الاول انه من المعلوم ان الختان في العهد العتيق كان رمزاً من احد الرموز اليهودية وكان يرمز الى حقيقة ما من الحقائق المسيحية ويستحيل ان تكون الحقيقية التي رمز اليها هي ايضاً رمزاً يرمز الى حقيقة اخرى والا لوجب التسلسل وهو باطل والحال ان الختان كان رمزاً الى المعمودية كما يظهر من قول الرسول (ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح مدفونين معه بالمعمودية التي فيها اقمتم ايضاً معه بايمان عمل الله الذي اقامه من الاموات (كو ٢ : ١١ و ١٢) فاذاً مرموز الختان اليهودي الذي هو المعمودية لا يمكن ان يكون رمزاً بل حقيقة لا ينتظر بعدها حقيقة اخرى ٠ ومثال الثاني ان النص الرسولي الذي هو (رب واحد ايمان واحد معمودية واحدة (اف ٤ : ١) حوى ثلاث قضايا وهي الرب والايمان والمعمودية فلا

سبيل لك ولاصحابك ان تعتبروا القضية الاولى والثانية وهما الرب والايمان بطريق الحق والقضية الثالثة بطريق المجاز وانها تدل على معنى غير المقصود بها فسرد الرسول لها ضمن قضيتين جوهريتين هو دليل كونها جوهرية نظيرهما ومعادلة لهما بالمنزلة ومثال الثالث ان المسيح اورد في امر المعمودية عبارة مجازية وهي قوله (ان كان احد لايولد من فوق لايقدر ان يرى ملكوت الله (يو ٣ : ٣) فما عتم ان ابان المراد بهذه الولادة التي من فوق واظهر حقيقتها بقوله (ان كان احد لايولد من الماء والروح لايقدر ان يدخل ملكوت الله (يو ٣ : ٥) فيستحيل ان يكون هذا القول الاخير مفسراً للقول الاول ويكون هو ايضاً قولاً معمى يتوقف المعنى به على قول آخر ومثال الرابع ان جميع الاقوال الواردة في العهد الجديد بخصوص قيامة الجسد تدل على وحدة المعنى في جميعها وهي ان الجسد الذي تتلاشى اجزاؤه بالموت سيقوم حياً والحال ان وحدة المعنى هذه تظهر باكثر جلاء في امر المعمودية وعظم منزلتها فان جميع الاقوال الواردة بخصوصها تدل على هذه الوحدة ومثال الخامس ان وقائع المعمودية كما في (اع ٢ ٢ : ١٦ و ١٩ : ٥ و ٨ : ١٢ و ١٦ و ١٧) لا تفيد خلاف المقصود عندنا من المعمودية اي ان هذه الوقائع وقعت فعلاً لا وهماً والا لكان لا فرق بينها وبين ما جاء في (مت ٣ : ١٣ – ١٧) من امر معمودية المسيح

المرتاب – ان للمعمودية عندنا شأناً لكن ليس بالمقدار الذي هو عندكم فاننا نعتقد كما انها علامة فهي ايضاً تختم للمعتمدين بها بركات الفداء وتخصصها بهم (المرشد ع ١٥٣)

المؤمن – اذاً ينتج من كلامك ان من لم يحز هذه العلامة لا ينال شيئاً من بركات الفداء وبالتالي لا خلاص له ولكن هل يسلم اصحابك بان

المسيح سلم رسله علامات ورموز واشارات واذا كان يسلمون بذلك فلماذا يشتمون الكنيسة لانها تقيم شعائر الدين بطقوس ورموز وعلامات

المرتاب – نعم يسلمون بذلك فان المعمودية عندنا كالختان عند اليهود تميز المسيحي من غيره باشارة بسيطة لا معنى لها كما كان الختان يميز اليهودي من غيره ولذلك يمكن الاستغناء عن هذه العلامة

المؤمن – اذاً الختان والمعمودية يعادل احدهما الآخر عندكم

المرتاب – كذا الامر يا صديقي

المؤمن – اذا كان الامر كذلك فلماذا لم تستغنوا بالعلامة الاولى عن الاخرى

المرتاب – لم نستغن بالاولى لكونها رمزاً واحتيج الى الاخرى لكونها مرموزاً اليها (كو ٢ : ١١)

المؤمن – وهلا يفترق عندكم الرمز عن المرموز اليه والعرض عن الجوهر والصورة عن الهيولي

المرتاب – كلاً

المؤمن – ان الرمز لاضرورة له ولا فائدة فيه بالنظر الى الثبات المرموز اليها فلماذا تقولون ان المعمودية تخصص بركات الفداء بالمعتمدين بها

المرتاب – نقول ذلك لانها علامة كالختان تفرق بين المسيحي وغيره

المؤمن – وهل لهذه المعمودية من علامة ظاهرة في المعتمد تستطيع ان تفعل ذلك كما كانت تفعل علامة الختان . واين ترسم هذه العلامة في نفس المعتمد ام في جسمه

المرتاب – ترتسم هذه العلامة في النفس لا في الجسم

المؤمن – كيف تكون هذه المعمودية رمزًا بسيطًا وعلامة لا معنى لها نظير الختان ونقتدر هذا الاقتدار العظيم حتى انها تدخل الى مخادع النفس وترتسم فيها. هذه اقوال يضحك منها

المرتاب – لا ادري كيف يكون ذلك واخشى ان اقول لك ان المعمودية ترسم علامة في الجسم لعلي الاكيد انك تطالبني بالدليل حالاً فانه لا يظهر لاحد ادنى علامة في جسم المعتمد يستدل بها على ان هذا مسيحي دون غيره

المؤمن – الا تشتم ادنى رائحة من اقوالكم هذه ان مباديكم يخالف بعضها البعض الآخر

المرتاب – لا اقدر ان اجيب على هذا السؤال الآن اعطني مهلة للمجاوبة عليه في غير هذا الوقت

المؤمن – افعل ما تريد

✻ المسامرة السابعة في معمودية الاطفال ✻

قال الراوي فافترق الواحد من الآخر على قصد ان يلتقيا بعد حين واقتفى اثرهما المعزون وكانت الساعة واحدة من الليل فدعوت الخادم وسألته عما اذا كان يستطيع ان يجلس معي حينًا لاستفسر منه عن بعض امور انا في حاجة الى معرفتها فطلب مهلة ساعة ليتفرغ من شغله وخدمه الكثيرة ولما انتهت الساعة حضر وجلس بجانب مني وقال

الخادم – كم انا حزين يا سيدي على هذه الرزية التي فاجأت سيدتي وقد كنت مؤملاً ان افراحنا تتصل ببعضها و يعقب الواحد الآخر فخاب هذا الأمل

الضيف – ياولدي ارجوك ان تترك الحزن من هذا القبيل فان لا فائدة فيه ولا منفعة منه بل انه بالعكس يضني الجسم وينحله ويهزله ويسبب له الامراض والاعراض ويبعد الانسان من الله تعالى ويجلب للنفس الموت النهائي ألم تسمع ما قاله الرسول . ان الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشيء توبة لخلاص بلا ندامة واما حزن العالم فينشيء موتًا (٢ كو ٧ : ١٠) فاولى بالانسان ان يحزن على نفسه ويبكي على ذاته ويندم على الخطية ويتوب عنها . فارجوك ان تبلغ تعزيتي لسيدك بهذا المعنى

الخادم – يشق عليّ ان افعل ذلك فاني اخشى واخجل ان انطق بحرف من هذا الكلام فارجوك ان تقدم تعزيتك لسيدي بذاتك او بواسطة اخرى

الضيف – لماذا تخجل يا ولدي وتستحي مما لا يقودك الى ارتكاب جريمة او اقتراف اثم فان الانسان لا ينبغي له ان يستحي الا من الخطية او مما يؤدي الى ابوابها الجهنمية وانا لم اكلفك بشيء من ذلك فلا تبعة عليك اذا فعلته وانت تعلم اني الى الآن لم اتعرف من اهل اسيوط باحد سواك كي اكلفه بتوصيل تعزيتي لسيدك ولا قدرة لي على الكلام معه بغير واسطة لعلي انه يجهلني ولا يميل لكلامي اذنًا صاغية

الخادم – لااظن بسيدي انه يفعل ذلك فانه رقيق الطبع لطيف المزاج لين العريكة سهل الانقياد حميد الاخلاق فان كنت تريد ان تعمل معروفًا فعزّ سيدي مباشرة بلا واسطة بينك وبينه لان كلام المعزي اوقع في النفس من كلام الذي لا يهمه التعزية

الضيف – اذًا لا ارى مانعًا من ان اكلفك ان تستأذن لي من سيدك ان يتنازل لكي اتقابل معه باكرًا

الخادم — سافعل ذلك وانا مؤمل ان كلامك الروحي سيخفف من احزانه

قال الراوي تكلم الخادم بهذا الكلام وانصرف من عندي فشكرت المولى على اني استطعت ان ازيل ما في نفس الخادم من الحزن المفرط وقضيت طول الليل مصليًا لحاجتي وطالبًا بالحاح ان يساعدني المولى على تعزية سيده ولما طلع النهار دعاني الخادم قائلاً . تفضل . سيدي يدعوك ان تحضر عنده فلبيت هذه الدعوة وذهبت على عجلة مع الخادم الى حيث سيده فوجدت الحزن كاد ان يؤثر على صحته وانهُ يخشى عليه من امر ذي بال لا ينفع بعده الندم اذا استمر على هذه الحال الرديئة فابتدأت ان اتفاوض معهُ واورد لهُ من الاقوال الروحية والامثال الادبية والعبر والنصائح ما جعلته ان يشعر بخطائه ويصرف شيئًا من ذلك الحزن العظيم ويزق تلك الغمامة السوداء من نفسه المغتمة وروحه المقتمة ثم طلبت اليه ان يخرج معي الى احد متنزهات اسيوط او احدى جنائنها لنتريض فيها لنزول ما في نفس كل منا من الكدر والكمد بواسطة تسريح النظر في تلك الرياض الاريضة وسماع اصوات الطيور المغردة واستنشاق الهواء النقي فاجاب طلبي وكان لهُ جنينة فقصدنا المسير اليها واذ كانت تبعد عن المنزل مسافة نصف ساعة فأمر بتحضير عربته المختصة به وحده فحضرت حالاً وركبنا فيها وكان بود الخادم ان نستصحبه معنا فلم استجرئ ان اطلب لهُ الاذن من سيده خوفًا من وجود ما يعيقه عن المسير معنا فاشرت اليه بالبقاء والانتظار في المنزل ومباشرة ما يلزمه من الاشغال والاعمال ثم توجهنا الى تلك الجنينة ولم يسبق لي الذهاب اليها قبل هذه المرة فاندهلت لاول وهلة من منظرها الحسن وطيب هوائها وصافي مائها وجميل خضرتها وبهاء نضرتها واستمرينا نتريض في رياضها ونختبر جواهرها واعراضها مسافة ساعتين

ثم قفلنا راجعين الى البلد ولما وصلنا الى المنزل وجدنا الخادم واقفًا ينتظرنا بجانب الباب فرحب بنا واقتادني الى ناحية منفردة وهمس في اذني قائلاً

الخادم — ان سيدتي تستدعيك الى ان تحضر عندها فانها قاصدة ان تكلفك في قضاء حاجة ما فارجوك ان تبادر اليها مسرعًا فانها تنتظرك بفروغ صبر

الضيف — اظنك تمزح بهذا الكلام فان سيدتك لم تسبق لها معرفة بي فهي تجهلني كما انا اجهلها وارجح ان الذهاب عندها بغير اخبار سيدك واستئذانه لا يخلو من خطر فاني اعرف جيدًا ان نساءنا نحن معشر الاقباط وبالاخص نساء اسيوط يحتجبن عن الرجال جهدهنَّ ولا يوددن ان يظهرن قدام احد وهي عادة تمدحها الاداب والانسانية والحشمة والحكمة ونفاخر بها امتنا وتحافظ عليها رجالنا بكل حرص

الخادم — ان سيدتي مذ سمعت ما عملته من المعروف والاحسان مع سيدي كادت تطير بك فرحًا فانها كانت خائفة عليه لشدة ما اعتراه من الحزن فاطمأنت الآن من قبله وسرت بك سرورًا زائدًا واعتبرتك انك ملاك مرسل من عند الله فبادر بالحضور اليها ولا تخشَ من تغيير خاطر سيدي عليك بسبب ذلك

قال الراوي فقبلت الدعوة وطلبت اليه ان يسير قدامي ففعل وتبعته الى ان دخل بي الى مخدع سيدته فلما لحقني انتصبت واقفة اجلالاً لي فحييتها بالسلام فردت عليَّ برقيق الكلام وجزيل الاحتشام وطلبت اليَّ ان اجلس بجانبها فجلست فبدأت تظهر لي الممنونية على كثرة اعتنائي بتعزية زوجها وتخفيف ألمه وتلطيف وجعه وتشكر عظيم اهتمامي بهذا الامر فقابلتها بمثل ذلك ثم انها عرفتني

مقدار المصاريف الباهظة ونفقات استعداد الفرح التي صرفها اب العريس واوضحت لي شدة ميلها الى اتمام هـذا المشروع وان العدول عنه يضرّ بصالح المنزل ماليًا ولا يجدي نفعًا وكلفتني ان اقنع زوجها بالمسير الى الامام وعدم الرجوع الى الوراء منعًا للخسارة فشكرتها على هذا العقل السامي وهذه الحكمة الرفيعة وهذا التدبير الحسن وتذكرت قول صاحب الامثال (المرأة الفاضلة تاج لبعلها (ام ١٢ : ٤)

ثم اني لبيت طلبها ووعدتها اني سأبذل قصارى جهدي في سبيل اقناع زوجها وارضائه وتنازله الى عمل العرس واستأذنت منها بالانصراف وتوجهت الى مكان اقامتي ومن حسن الطالع ان اب العريس تنازل هذه المرة الى ان يتناول معي الطعام في الغداء فحمدت حسن الصدف وتيقنت بان مسعاي سينجح واني سانال الغاية المقصودة منهُ وقبل ان يوضع الطعام اخذت ان اتفاوض معهُ بشأن ذلك فاظهر لي الصعوبة الكبيرة في مبداء الامر وبعد الأخذ والرد وقتًا كبيرا قال لي اخيرًا (افرض ان لامانع لذلك من قبلي فمن يقدر ان يرضي به زوجتي التي ترى الحزن اخذ بها كل مأخذ) فانفرج همي عند سماع هذا الكلام وقلت لهُ انا آخذ العهدة على نفسي باقناعها وارضائها اذا كنت تسمح لي حضرتك بان اقابل معها وقتًا صغيرًا من الزمان على شرط انك لا تبدي ادنى مانع لذلك من قبلك فاجاب طلبي فشكرته على حسن ظنه بي ورضاه بتوجهي عند زوجته ومقابلتي لها ثم تناولنا الطعام معًا وقد كان مضى عليه وقت كبير لم يتناول فيه طعامًا فانفتحت شاهيته واكل حسب عادته ثم قام من الأكل وتوجه الى حال سبيله فانتهزت فرصة الانفراد وأخذت دفترًا وبدأت ابيض فيه ما سودته من الكتابة واستمريت اشتغل الى المساء الى حين بدأ الناس يردون

مثنى وثلاث ورباع على تلك الغرفة فانقطعت عن العمل ثم جاء المؤمن يقتاد المرتاب بيده وقال احدهما للآخر

المرتاب — ان الاقباط يعتمدون في دعوى المعمودية واهميتها على عبارات من الكتاب المقدس يفسرونها على حسب ظاهرها بغير ان يلتفتوا الى ما ينقض دعواهم هذه من النصوص الكثيرة والحوادث الكبيرة التي تقلل من اهمية المعمودية وتجعل وجودها وعدمها على حد سوى

المؤمن — ان كلامك يوهم السامع البسيط انك تستطيع ان تؤيد دعواك وتدحض دعوى غيرك بالسهولة فارجوك ان تورد استدلالك الكتابي لنعلم صدق حجتك او كذبها ونرى وطابك ملآنًا او فارغًا

المرتاب — انا لا اصدق انهُ غاب عن علمك الحادثة الشهيرة التي جرت في قيسرية براى اعين كثيرين من المؤمنين خصوصًا انها حدثت قدام القديس بطرس اثناء ما كان يبشر كرنيليوس القائد الروماني بملكوت الله ويخبره عن امر يسوع الناصري فانك تعلم كيف ان الروح القدس حل على هذا القائد من قبل ان يعمده الرسول (اع ١٠ : ٤٤) فكانت هذه الواقعة دليل شافي وبرهان وافي على ان الاعتماد وعدمه سيان وهل تجهل حضرتك امر اللص الذي اعترف بربوبية المخلص فنال الخلاص ولم تحوجه الضرورة للمعمودية (لو ٢٣ : ٤٣)

المؤمن — من المعلوم عند كل ذي عقل سليم ان الامور الخارقة العادة والنادرة الوجود لايصح ان تؤخذ قاعدة يبنى عليها شريعة من الشرائع او تجعل سنة يسير الانام بموجبها . واظن انه لايخفى عليك ان حادثة كرنيليوس هي من قبيل الامور الخارقة للعادة لانها كانت معجزة قصد بها المولى ان يزيل ما

كان يخامر عقول المؤمنين وقلوبهم من الريب من نحو غير اليهود والحال ان المعجزة ليست سنة اوشريعة فاذاً لا يصح ان نعتبرها تعليماً او اصلاً من الاصول المسيحية ونمشي بحسبها بل انها برهان على امر من الامور وحادثة كرنيليوس هي من هذا القبيل فانها برهنت على وجوب قبول الشعوب في حضن النصرانية فلم تجرِ بموجب الطريقة الجارية في المعمودية بل جرت بطريقة استثنائية ونادرة لعلة والمعلول يرتفع اذا ارتفعت علته والحال ان العلة ارتفعت منذ ذلك الحين وصح دخول الامم في الايمان وانفتح لهم كما انفتح لغيرهم باب الحيوة فارتفع المعلول الذي هو حلول الروح على المعتمد قبل ان يعتمد مع ارتفاع علته التي هي وجوب قبول الامم في الايمان المسيحي

وخلاص اللص هو ايضاً من هذا القبيل لانهُ امر نادر قضت بهِ الضرورة وحكمت بهِ ظروف الاحوال وضيقة تلك الاحيان والحال ان الضرورة لا يتوقف او يدور عليها حكم من الاحكام فاذاً لا يصح ان نجعل خلاص اللص اصلاً وقاعدة واجبة في التعليم المسيحي

المرتاب — لا محل للحقيقة من جميع هذه الاقوال التي قلتها فان المطلوب في الدين المسيحي هو الايمان فقط فمتى امن الانسان نال الخلاص ونجا من القصاص ولا حاجة بهِ الى خلاف ذلك ألم تعلم ماذا اجاب بولس وسيلا حافظ السجن حين سألاهما عن طريق نجاته بقولهما (آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص انت واهل بيتك (اع ١٦ : ٣١) وماذا قال المسيح (مَن آمن واعتمد خلص (مر ١٦ : ١٦) فترى ان الايمان هو المطلوب دون سواه

المؤمن — لا اشك في هذا القول غير ان عندي ملحوظاً عليهِ اريد ان ابديه لك ارجوك ان تلتفت اليهِ وهو ان الايمان في النص الاول تدخل ضمنه

المعمودية لانهُ احياناً شتى يقوم الاسم الواحد منهما مقام كليهما والدليل على ذلك امران وهما اولاً كما ان الايمان بالرب يسوع المسيح يدخل ضمنه الايمان بالاب والروح والا لعدَّ المؤمن بالاقنوم الاول دون الاقنومين الاخرين كافراً كذلك تدخل ضمن هذا الايمان المعمودية ثانياً انهُ لم يذكر الكتاب عقيب ذلك النص ان حافظ السجن آمن بالرب بل اكتفى الكتاب بقوله (واعتمد في الحال هو والذين لهُ اجمعون (اع ١٦ : ٣٣) فكما ان الايمان يدخل في هذا المكان ضمن الاعتماد كذلك الاعتماد يدخل في ذلك المكان ضمن الايمان . .

ولا اريد ان اطيل لك البيان عن النص الثاني فان الامر واضح ان المسيح قال (مَن امن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن) فالاعتماد داخل في شرط الخلاص والا لما كان محلاً لان تكون لفظة (خلص) واقعة جواب الشرط للفظة اعتمد كما هي واقعة جواباً للفظة (امن)

ولا عبرة في النص التالي وهو (من لم يؤمن يدن) نظراً لعدم تكرار المسيح للفظة (الاعتماد) وعدم جعله لها شرطاً في هذه الجملة الشرطية كما جعلها في الجملة الاولى فان قوة الجملة تفترض وجود هذا الشرط المحذوف لتكون لفظة (يدن) جواباً وجزاء للشرط الذي هو الايمان والاعتماد كما كانت لفظة (خلص) شرطاً وجزاء للايمان والاعتماد فما كان جواباً وجزاء لشرط يكون عكسه جواباً وجزاء لعكس ذلك الشرط والحال ان الخلاص في الجملة الاولى هو جزاء وجواب للشرط الذي هو الايمان والمعمودية فالدينونة التي هي عكس الخلاص واقعة جواباً وجزاءً لشرط عدم الايمان وعدم الاعتماد

المرتاب — كل هذه المحاولة التي تبتغي ان تعضد بها دعواك على وجوب المعمودية ولزومها وعلى ان الانسان مهما كان حالهُ لا يقدر ان ينال الخلاص

بلاها انما هي مكابرة منك وقد بلغ منك الجهل مبلغاً عظيماً حتى انك تحرم بموجب هذا المبدإ الفاسد الاطفال الصغار الذين لا يعرفون للشر من طريق وتمنعهم وتقصيهم من الحيوة الابدية حالة كون المسيح قال للرسل ان لم تصيروا مثل الاولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات (مت ١٨ : ٣) وقال ايضاً دعوا الاولاد يأتون اليَّ ولا تمنعوهم لان لمثل هؤلاء ملكوت الله (مر ١٠ : ١٤) وقد منحهم بركته الالهية وضمهم الى صدره الابوي واحتضنهم (مت ١٩ : ١٤ و١٨ : ٣ مر ١٠ : ١٦ لو ١٨ : ١٥) واما انتم معشر الاقباط فتغلقون ابواب السماء في وجوه الذين يموتون بلا معمودية وتمنعوهم من الدخول اليها وتحرموهم من ميراث الملكوت وهو جهل فظيع وحماقة عظيمة وغباوة جسيمة واما نحن فنحكم ان الطفل ان مات وهو لم ينل المعمودية لا يفترق بشيء عمن مات وهو معتمد المؤمن — اذا كان الامر كذلك فلماذا جرت عادة عماد الناس وهم اطفال في سن الرضاعة واليفاعة فاني اعلم من مصادر شتى ان عماد الاطفال قانون رسولي وناموس الهي وان الكنيسة حافظت على هذا القانون وسارت بموجبه في جميع اجيالها فاننا نقرأ في الكتاب ونجد فيه ان بولس عمد عائلة ليدية باجمعها (اع ١٦ : ١٤) وجميع الذين كانوا مع حافظ السجن (١٦ : ٣٠) واهل بيت استفانا (١ كو ١ : ١٦) ولم يذكر الكتاب ان الرسول ميز الاطفال من بين هذه العائلات واقتصر على تعميد الراشدين منهن فقط واظن انه لا يمكن ان يخطر على بالك يا صديقي ان الاطفال كانوا معدومي الوجود من بين هذه العائلات ثم ان التقليد يقودنا الى امرين نحن في حاجة الى معرفتهما وهما اولاً اهمية المعمودية وعظم منزلتها امام اعين المسيحيين الأول ثانياً تعويلهم عليها وافتقارهم اليها في نوال الخلاص للكبار والصغار فقد قال ايريناوس الذي هو

احد رجال القرن الثاني المسيحي (ان يسوع المسيح اتى لكي يخلص جميع البشر اعني الذين ولدوا ثانية لله سواء كانوا اطفالاً او شباناً او شيوخاً وقال اوريجانوس علامة القرن الثالث ان الكنيسة تسلمت من الرسل تقليد تعميد الاطفال ايضاً فالاطفال يعمدون لمغفرة الخطايا ليُغسلوا من الوسخ الجدّي بسر المعمودية · وقال كبريانوس عالم افريقا في القرن الثالث · اذا كان الذين خطئوا سابقاً امام الله اذ يؤمنون يأخذون صفح خطاياهم ولا يمنع احد منهم عن المعمودية والنعمة وان كان من فعل خطايا غير محصاة فالاطفال الذين ضميرهم غير متقح ولم يخطأوا في شيء والذين نظراً للخطيئة الجدية الكامنة فيهم تدنسوا بها وصاروا مشاركي الموت الآدمي يحتاجون هم ايضاً الى المعمودية لانها شرط لنوال الخلاص والصفح ليس عن الخطايا الشخصية بل الابوية ولذا ايها الاخ الحبيب قد حدد مجمعنا ما يأتي وهو (انه لا يجوز ان نمنع احداً من المعمودية ونعمة الذي هو صالح ورؤف بالجميع فالمعمودية هي للجميع وخصوصاً للاطفال الصغار الذين بنوع خصوصي يستميلون انتباهنا وصلاح الله) وقال غريغوريوس المتكلم بالالهيات في القرن الرابع وهو يخاطب الوالدة (هل عندك طفل فلا يأخذن فيه الشر فرصة بل ليُقدَّس وهو رضيع وليُكرَّس للروح منذ نعومة اظفاره انك تخافين ايتها الام من الختم بسبب ضعف الطبيعة بما انك ضعيفة النفس وقليلة الايمان لكن حنة قبل ان تلد صموئيل وعدت الله به وبعد ولادته حالاً كرسته وبالحلة الكهنوتية ربته ولم تخف من الضعف البشري بل آمنت بالله · وقال مجمع قرطجنة في قانون (١٢١) حكم ايضاً المجمع ان كل من ينكر ان المعمدين من الاولاد الصغار المولودين حديثاً من بطون امهاتهم يعمدون لمغفرة خطاياهم ويعترف بذلك ولكنه يزعم انهم لم يشتركوا بشيء من الخطيئة

الجذية المحتاجة الى التطهير بحميم الولادة الثانية وينتج من هذا الزعم الوخيم ان رسم المعمودية التي لمغفرة الخطايا في هؤلاء الاطفال ليس بحقيقي بل مخترع ظاهري فليكن مفرزاً لان عبارة الرسول القائلة (بانسان واحد دخلت الخطيئة العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ خطئ الجميع) لا يجب ان تفهم بمعنى آخر الا كما فهمتها دائماً الكنيسة الجامعة الممتدة والمنتشرة في كل مكان اعني ان الاطفال ايضاً الذين لا يستطيعون ان يرتكبوا بذواتهم خطيئة من الخطايا يعمدون بناء على قانون الايمان هذا معمودية حقيقية لمغفرة الخطايا ليتطهر فيهم بالولادة الثانية ما ورثوه من اجدادهم) وقال اغسطينوس علامة افريقيا في الجيل الخامس · ان الكنيسة كانت دائماً تتمسك بتعميد الاطفال متسلمة اياه من ايمان السلفاء ولم تزل حافظة له الى الآن وسوف تحفظه الى الانقضاء ·وقال ايضاً ان تعميد الاطفال تقليد رسولي (الحق عدد ٣٨ للسنة الثانية) وقال مجمع نيقيا المسكوني في دستور ايمانه (نعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا)

المرتاب – لا ينبغي الاعتماد والتعويل على آراء هؤلاء الآباء وامثالهم فان العقل السليم يخطئ ما ارتأوا به واعتقدوه في هذا الامر فانه يحكم ان الطفل الذي لم ينل شيئاً من حظوظ العالم هو سليم من كل خطيئة ونقي من كل وصمة وطاهر من كل عيب ومنزه عن كل دنس ألا يحكم عقلك بذلك ايها الصديق

المؤمن – بلى يحكم بذلك لكن هل تقدر تنسب عمل الرسل والرسوليين والآباء في امر معمودية الاطفال الى العبث وهل تظن انهم فعلوا ذلك بدون سبب جوهري واذا كانوا كما ظننت بهم ألم تكن كل اعمالهم وتعاليمهم صادرة عن الجهل ويكون لا فرق بينهم وبين عامة الناس واصحاب العقول السافلة

الذين يفعلون بدون ان يتوقعوا غاية من فعلهم

المرتاب – لست اظن بالرسل وآباء الكنيسة الأول انهم كانوا يعملون عملاً بدون ان يتوقعوا منه فائدة جيدة فان اقوالهم واعمالهم كانت ملهمة من الروح القدس الذي لا يمكن ان يأمرهم احداً امراً لا طائل له ويحمله على العبث فهل تدرك يا صديقي هذه الغاية التي كان يتوقعها المسيحيون في الاجيال الاولى من معمودية الاطفال

المؤمن – اي نعم اني ادرك هذه الغاية واعرفها حق المعرفة ولو كنت تترك مبادي اصحابك الاساسية لادركت تلك الغاية كما ادركها انا الآن

المرتاب – ما هي هذه المبادي التي يتمسك اصحابي بها يفقدون الغاية من امر معمودية الاطفال

المؤمن – هذه المبادي هي اولاً اعتقادهم ان ادم ابا البشر خُلق بحال طبيعية واجبة له لان ذات طبيعته تقتضي تلك الحال التي خلق بها ثانياً ان سقوط ادم في المعصية اعدمه تلك الحال المتوجبة له واوجب في ذاته الفساد الطبيعي (المرشد – ١٤٩) واعدم منه كل حرية وارادة وميل نحو عمل الخير وصار كل عمله شر حتى ان ذات طبيعته اصبحت بعد المعصية خطيئة ثالثاً ان المسيح عفا بموته المجاني عن هلاك هذه الطبيعة الفاسدة بقطع النظر عن افكاره واقوالها وافعالها الشريرة التي لا ينتظر اصلاحها ابداً فهذه هي الاصول التي لو تأمل اصحابك بفسادها لادركوا حالاً الغاية المقصودة من المعمودية لجميع الناس على اختلاف سنهم

المرتاب – ارى ان هذه المبادي قوية الجانب ولا سبيل لك الى نقض فان الاطفال الذين اشتركوا بمعصية آدم وفوا قصاص تلك المعصية بالموت

الذي ورثوه لانهم لم يرتكبوا خطاءة فعلاً (المرشد عـ ١٤٩) فلم يحتاجوا الى المعمودية والكبار كفَّروا عن خطاياهم الشخصية والفعلية بمجرد ايمانهم بالمسيح لهُ المجد ولم يعوزهم امر آخر

المؤمن – ان الموت الذي يموته الاطفال وغيرهم ليس هو قصاصاً او عقاباً بل تأديباً والتأديب خلاف القصاص او العقاب والاَّ لما احتاج الحال الى تجسد المسيح وموته لوجود ذلك القصاص المفترض من اصحابك بعد مجيئه فان الناس ما زالوا يموتون بالموت الذي كان يموت به اسلافهم الذين سبقوا مجيء المسيح فكان يكفي هذا القصاص عن خطايا الكبار الفعلية كما كفى الصغار عن خطيتهم الشخصية ولا يبقى لزوم لكفارة المسيح وموته فداء عن اثم العالم فاذاً على كل حال لا بد وان تكون مبادي اصحابك فاسدة ويستطيع كل ذي عقل ان يظهر عيبها وخللها وباظهار فسادها تستقيم له المبادي الصحيحة

المرتاب – باية وسيلة تستطيع ان تدرك فساد مبادينا الحقة وتكشف عيبها

المؤمن – انا اقول لك كيف اقدر ان افعل ذلك ان المبدأ الاول فاسد لان الانسان خلق بنعمة مجانية ليست بواجبة لهُ وحين خالف الوصية خسر هذه النعمة فقط بحيث انه لم يفقد حريته وميله وارادته وانتقاءه الخير من الشر واختياره الصلاح من الطلاح وذلك لان تلك النعمة التي يفترضها اصحابك للانسان الاول بطريق اللزوم والوجوب والضرورة اما ان تكون وجبت لهُ من قبل ذاته او من قبل الله وكلا الامرين باطلان فالاول باطل لان طبع الانسان لا يقتضي الا ان يكون حيواناً ناطقاً مستعداً لعمل الخير الذي لا يقتضيه ويستوجبه بطريق الضرورة واللزوم الا الله وحده فان طبع الانسان الاول لا يقتضي الا ان يميل بجزئه الحيواني نحو الخير المحسوس

ولما كان هذا الجزء متألفاً من امزجة مختلفة واجزاء متنوعة تتأثر بتأثيرات الجو بالآلام والاوجاع والموت كانت عصمة هذا الجزء من التأثيرات المذكورة الجوية تعد له نعمة لان العصمة من التأثر بذلك يفوق طبع الانسان الحيواني المتألف من اجزاء معرضة للتفرق والتمزق والتمزيق فاذاً عدم الموت كان لادم نعمة لانهُ كان امراً مستلزماً لذاته الحيوانية والامر اللازم للانسان لا يمتنع ان يكون عقاباً لهُ فكان ممكناً لادم ان لا يموت لو لم يعص ولما عصى فقد الشرط الذي هو البقاء على الولاء مع الله ففقد المشروط الذي هو العصمة من الموت ومات بحسب طبيعته فلم يكن اذاً موته من قبيل العقاب لذنبه والقصاص لمعصيته بل كان للدلالة على فقدانه النعمة وهي العصمة من التأثيرات الجوية التي تفوق طبعه الحيواني

ولا يقتضي طبع الانسان الاول ان يميل بجزئه العاقل الا الى الخير المعقول وهو الفضائل فكان الانسان موضوع التنازع والتمانع بين جزئين يختلف كل منهما عن الآخر بالذات والعمل ويتعين الثواب على العمل اذا تغلب الجزء العاقل على الجزء المحسوس وانتصر عليه اذ لا يتم حينئذٍ العمل الا بالمشاق ومر المذاق ويتعين العقاب اذا كان الامر بالعكس فهذه حال الانسان التي خلق عليها واقتضتها طبيعته التي كل ما خالف ذلك يفوقها

ويظهر فساد المبدأ الثاني من ان الله لم ينزع من الانسان كل حركة للخير ولم يسلب منهُ حريته وارادته واختياره. ولنا على اثبات ذلك جملة براهين منها اولاً ان الانسان يقدر ان يميل او لا يميل نحو الموضوع المستحضر من الذهن ويريده او يكرههُ ويحبه او يبغضه ثانياً ان الله وضع للانسان القوانين والشرائع ليسير بموجبها فلو لم يكن حراً لما كان سبيلاً لله ان يفعل ذلك وبحسب هذه

الشريعة العقلية (رو ٢ : ١٤ و ١٥) او النقلية اصبح الانسان فاقداً لكل عذر اذا حاد عن جادة الصواب وارتكب المعاصي (رو ١ : ١٩) ومن ثم فقد صار في امكان الجميع ان يتقربوا من الله ويقتنوا الفضيلة ويبتعدوا عن الرذيلة (عب ١١ يع ٥ : ١٠ و ١١)

المرتاب – ان رأيك يا صديقي الذي هو ان طبع الانسان لم يفسد برمته حين اخطأ بل بقي مالكاً لحريته يتتج منه ان خطية ادم لم تبدِ ادنى تغيير في ذاته وبقي بعد ان عصى كما كان قبل ان يعصى

المؤمن – لا تؤدي قضاياي الى هذه النتيجة الكاذبة ابداً لاني لم اقل ان الخطية لم تبد بادم ادنى تغيير بل اني قلت واثبت قولي ان الانسان بقي مالكاً للحرية بعد الخطية وهذه القضية لاتؤدي الى تلك النتيجة

المرتاب – قل من فضلك ما هو ذلك التغير الذي ابدته المعصية واخلفته في طبيعة ذلك العاصي والمخالف

المؤمن – ان التغير هو اما بالنظر الى جسمه او بالنظر الى نفسه اما الاول فان الخطيئة نزعت من ادم نعمة العصمة من التأثيرات الجوية التي هي القر والحر والألم والضعف والوجع والموت واما الثاني فان الخطيئة شوشت صورة الله التي هي العقل والمعرفة في الانسان واعدمت مثاله الالهي الذي هو البرّ والقداسة فاحتاج الامر الى ان يجلي الفادي تلك الصورة المشوهة والمشوشة بنضح دمه الطاهر عليها ويصقلها بمسحه الالهية (اف ٤ : ٢٢ – ٢٤ كو ٣ : ١٠) ويجدد ذلك المثال المعدوم ليكون مستعداً كما كان قبلا لكل عمل صالح (٢ تي ٢ : ٢١) ويزداد في الفضيلة (يو ١٥ : ٢) وطهارة الروح وقداسة الذات ونقاوة الجسم فقد حصلنا بواسطة الفادي وفدائه على هذه المزايا

الرفيعة (اف ٥ : ٢٥ – ٢٧ (٢ كو ٥ : ١٧) ١ كو ٣ : ١٦ يع ١ : ١٨ عب ٩ : ١٤ يا) اع ٣ : ١٩ (ايو ١ : ٧ و ٢ : ٢ و ٣ : ٩ و ٤ : ١٣ (٢ بط ١ : ٣ و ٤) يو ١ : ١٢ و ١٣ و ١٤ : ٢١)

واذا علمت يا صاحبي فساد مقدمات اصحابك فحينئذٍ يسهل عليك ان تقر باصولنا ومبادينا القوية وتصل بامان الى نقطة المناظرة المقصودة وبحل الاشكال وتعترف كما نعترف نحن بضرورة المعمودية للاطفال وغيرهم لانك تلتزم ان تقر (١) ان ادم ابا البشر تعرى بمجرد معصيته من نعمة مجانية كانت لابسة لهُ لبوس الثوب للجسد (٢) انهُ لما فقد هذه النعمة وخسر هذه العطية لم يخسر معها حريته وارادته (٣) الا ذاته الطبيعية لم تفسد فساداً لم يتأت لها من بعده اصلاح (٤) ان الموت الذي يموته الطفل لا يقوم مقام موت المسيح وكفارته ويعد قصاصاً يفي العدل الالهي ويعيد للمائت النعمة التي خسرها بالوراثة الطبيعية

وبناء على هذه المبادي نقول ان ثمر المعمودية هو (١) انها تفي العدل الالهي الذي اهين بالجريمة الادمية « ٢ » تجعل المعتمد مستحقاً النعمة التي ولد فاقداً لها ومتعرياً منها (٣) تطهر ذات المعتمد من الخطية الشخصية او الفعلية ان كان كبيراً (٤) تهيء الذات الى عمل البر والتقوى وتجعلها مستعدة كما كانت في حال النعمة للنمو في القداسة والبرارة فترى من هذه النتائج ان من يموت بلا معمودية كالطفل يموت وهو خسران لعدة فوائد وفاقد لجملة مواهب

المرتاب – اني قد قلت ان موت الطفل طبيعياً يقوم مقام موت نفسه الذي استوجبته الخطية فلا حاجة به الى المعمودية والدليل على ذلك ما قالهُ الرسول (من اجل ذلك كانما بانسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ اخطأ الجميع (رو ٥ : ١٢)

المؤمن – ان المراد بالموت الذي ذكره الرسول هنا انما هو موت النفس ويظهر لك ذلك من المقابلة التي جعلها بين الموت الذي اوجبه آدم لبنيه بمخالفته والحيوة التي اوجبها لهم المسيح بطاعته وبين الدينونة التي حقت على العالم بخطيئة آدم والبرارة استحقها له المسيح ببره (رو ٥ : ١٨ و ١٩) ١ كو ١٥ : ٢٢ (٢ كو ٥ : ١٤ و ١٥)

المرتاب – كل هذه المحاولة تحاول بها لكي تثبت شقاوة الاطفال الذين يموتون بلا معمودية واخالك انك عقيم لم تلد اولاداً حتى انك تقسي عليهم هذه القساوة الشنعاء فلو كنت ولدت اولاداً لكنت ذا شفقة وحنانة وكنت تحن على هؤلاء الاطفال وتحكم للمائتين منهم بدون ان يدركوا الاعتماد بالحيوة الابدية (المرشد عدد ٥ لسنة ١٨٩٦)

المؤمن – اني ولدت اولاداً كثيرين وما زلت اتمخض لاجلهم (غل ٤ : ١٩) وهذه الشفقة التي تدعي اني خالٍ منها لامحل لها في جانب الذود عن تعليم الكتاب المقدس فانا ننتصر للكتاب وتعليمه الصحيح ولا ندع الشفقة ان تكون السبب للاخلال به وافساده فان الطفل يولد خاطئاً (مز ٥١ : ٥) والخاطي يحتاج ضرورة الى التبرير والتبرير لا يتأتى بغير المعمودية وهذا آخر ما اريد ان اقوله لحضرتك هذه الليلة

المرتاب – صدق من قال ان الانسان العنيد لايذعن للحق ولا يقتنع به ولو اوردت له الف برهان وعنادك ياصديقي غطى على عينيك لكي تنبذ اقوالي ولا تذعن لها . اسمح لي بالمضي . ليلتك سعيدة

المؤمن – امض بسلام الرب يكون معك ويرشدك الى الطريق المستقيم

المسامرة الثامنة في تأسيس سرّ الافخارستيا

قال الراوي لم يتم خروج الناس من الغرفة حتى تناولت الدفتر وبدأت ارقم فيهِ حوادث ذلك النهار وتلك الليلة ولما رأيت ان المواضيع التي يتسامر بها ذانك المتناظران لم يعد في امكاني ان اضعها بحسب ترتيبها لكثرة الاخذ والرد فيها اعرضت الكيفية على الخادم حين جاء على حسب عادته ليقدم لي طعام العشاء فارشدني الى معرفة واحد من علماء الاقباط الشهيرين الذين يواظبون على الحضور في السهرة وبالغ في القول عن هذا العالم حتى كدت لا اصدق قوله وقال لي انهُ فضلاً عن كونهِ ذا قريحة وقادة نادرة الوجود عند علماء اسيوط وبليغ العبارة اكثر منهم فانهُ على جانب عظيم من التقوى والفضل والقداسة فتذكرت قول المسيح (لان ليس مكتوم ان يستعلن ولاخفي لن يعرف (مت ١٠ : ٢٦) وقلت في نفسي ضرورة ان المؤمن يرتشد من هذا الرجل ويتدبر باقواله ويستعد للدفاع عن مبادي ايماننا الارثوذكسي بهدايته فلو تمكنت انا من المعرفة بهِ والأخذ والعطاء معهُ لحصلت على الغاية المقصودة وادركت مناي بعرضي عليه سائر ما كتبته وتفويضي لهُ وتكليفي اياه ان يصلح غلطات كتابتي فقلت للخادم ارجوك ان تعرفني بهذا الرجل العالم الفاضل فاني في حاجة كبرى لمعرفته فلبى طلبي ووعدني انهُ يفعل ذلك في النهار ثم اني سألته عما ذا فعل سيده وماذا يفعل في امر فرح ابنه فاجابني قائلاً انه منتظر ان تردّ عليه الجواب وتعلمهُ عن مراد سيدتي ام العريس فقلت لهُ بلغ سيدك سلامي وجزيل ممنونيتي وقل لهُ ان ام العريس تود ان تقابل جنابك مقابلة خصوصية وتتداول معك في هذا الشأن وتتفق معك على امر يعود منهُ

الصالح للعموم وان الحزن الآن لا يمنعها عن هذه المقابلة الضرورية فارجوك يا ولدي ان تقنع سيدك بقبول هذه الدعوة فقال لي سأفعل ذلك ثم انه رتب لي مائدة الطعام فتناولت منهُ ما استطعت ورقدت نائماً قرير العين صافي البال خال من البلبال ولما طلع النهار خرجت على جاري العادة لكي اتمشى في اسواق اسيوط فما سرت قليلاً حتى وجدت المرتاب جالساً مع ابن عمه التلميذ اللاهوتي وهو يقول لهُ

المرتاب ـ اني لقد استظهرت يا ابن عمي على القبطي التقليدي والفضل في ذلك انما هو عائد على حضرتك فارجوك ان ترشدني الى ما يجب ان اطالعه من مؤلفات قومنا النفيسة لكي اتمكن بذلك من تمام الانتصار واحوز المجد والفخار

الواعظ ـ لقد احسنت في طلبك هذا فان الذي يود ان يتنازع في مسألة من المسائل مع غيره ينبغي له ان يدرسها حق الدرس ويطالعها حق المطالعة

المرتاب – اتعهد لك اني سأفعل ذلك وانت تعلم اني اسير امرك فامنن عليّ وكمّل احسانك اليّ وقل لي ما هي المؤلفات الجديرة بالقراءة والدرس

الواعظ ـ لارشدنك الى الكتب التي قرأتها في مدرسة اللاهوت وتلقيت منها الدروس مع رفقائي التلامذة وهي (١) كتاب الثلثة عشرة رسالة تأليف المعلم اسحاق برد رداً على المطران بطرس كرم (٢) مؤلفات المعلم ميخائيل مشاقه رداً على البطريرك مكسيموس مظلوم وغيره (٣) كتاب الرفش القوصي رداً على القمص فلتاوس فهذه الكتب لو طالعتها حق مطالعتها وعرفت مضمونها لترجح لك الانتصار وللقبطي التقليدي الانكسار

المرتاب – لا قدرة لي على دفع اثمان هذه الكتب فما هي الطريقة للحصول عليها

الواعظ الطريقة سهلة جداً للحصول على هذه الكتب بدون ان تتكلف ادنى شيء غير انه يلزمك ان تقدم عرضاً الى جمعية الاميريكان وتطلب به هذه الكتب وتكتب فيه انك فقير لا تقدر ان تدفع اثمانها

قال الراوي فشكر المرتاب افضال ابن عمه وانصرف من عنده ذاهباً الى حال سبيله واما انا فرجعت حالاً الى المنزل فجاءني الخادم يعدو راكضاً ووجهه تلوح عليه سمات الفرح والسرور وبيده صينية الطعام فوضعها وقال لي

الخادم ـ ابشر يا سيدي ان افراحنا اخذت تتجدد أن شمس سرورنا وانبساطنا اوشكت تطلع في سماء سعادتنا ونعيمنا لقد انقشعت عن اوجهنا تلك الغيوم وطويت عن اعيننا سرادق تلك الغموم

المؤمن – ماذا جرى من الحوادث المفرحة قل بالله عليك اخبرني بسرعة

الخادم – لا وقت لي كي اشرح لك بالعبارة كل ما جرى وانما اقول لك بالاختصار اننا عزمنا ثانياً على عمل الفرح والسلام وانا الآن ذاهب لاخبر القسيس عن امر اب العريس وامه لي ان يحتفل باكراً نهار الاحد بقداس ويقرب منه سيدي العريس وعروسه ويناولها من السرائر المقدسة لكي يستعدا لاقامة شعائر الاكاليل المقدسة وينالا سر الزيجة في الاحد القابل ان شاء الله

المؤمن ـ هذا مناي وهذه غاية مرامي نشكر الله على احساناته وعنايته بخلقه فانه لا يلبث حتى يغير الاحوال ويبدل الاحزان بالافراح والاشجان بالانشراح

قال الراوي فخرج الخادم واما انا فشكرت المولى تعالى وتناولت الطعام وتوجهت الى البوستة استفهم منها عن ورود خطابات باسمي فوجدت فيها ثلاثة كل واحد منها يختلف عن الثاني زماناً وكلها تتضمن معنى واحداً وهو التماس سرعة

حضوري الى القاهرة فخررت ردًا عليها مستفهمًا عن السبب الموجب لسرعة الحضور و واعدًا ان غيابي لا يستغرق اكثر من عشرة ايام وطويت الخطاب ووضعته في البوسته وعدت راجعًا امشي الهوينا الى ان ادركت المنزل وقت الغروب وقد كان الناس بدأوا يحضرون ولم يمض حين حتى امتلأت الغرفة من اعيان البلد وكبارها بعضهم اتى للتعزية والبعض الآخر على سبيل عادتهم وقبل ان يفتح المرتاب او المؤمن فه ويتكلم كلمة دخل الخادم ونادى الجمع قائلاً ان سيدي يدعوكم الى الكنيسة باكرًا لتحضروا احتفال القداس الالهي فان ابنه العريس وعروسه مزمعان ان يتناولا من جسد المسيح ودمه فاضطرب المرتاب عند سماعه هذا القول ولما لم يجد للصبر مكانًا عنده قال على مسمع الجميع ان الاقباط لفي ضلال مبين لانهم يعتقدون بان الخبز والخمر يصيران بعد صلوة القسيس جسد المسيح ودمه ويتناولونها على هذا الظن الفاسد

فالتفت اليه المؤمن ولم يدعه ان يتم كلامه حتى قال له

المؤمن — لماذا تهجو بنا هذا الهجو ولا تحفظ حقوق الادب في كلامك ولماذا تدعي علينا بالكفر قبل ان تطالبنا بالبرهان والدليل على ما نقر به ونعتقده

المرتاب — ألعلك انت ايضًا ياصديقي تذهب في اعتقادك مذهب اصحابك واخدانك اني لا اريد لك ذلك وانزهك عنه ولا ارضى لك به ابدًا

المؤمن — نعم اني اعتقد نظير ابناء كنيستي وافاخر باعتقادهم واحتسبه مجدًا لي وسعادة واذا اردت ان احتج عن اعتقادي هذا فانا مستعد للاحتجاج

المرتاب — احتج عن ذلك اذا كنت تستطيع الى الاحتجاج من سبيل

المؤمن — لا يخفى على الناقد البصير وعد المسيح الصريح بهذا السر لليهود لما طلبوا اليه ان يصنع لهم اية ليؤمنوا بدعوته و يصدقوا بدعواه نظير اية المن

التي اجترحها موسى فامن به اباؤهم انه نبي الله ورسوله (يو ٦: ٣٠ و ٣١) وتآمروا عليه لقوله لهم (انا هو خبز الحيوة من يقبل اليَّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش ابدًا (: ٣٥) فانه وعدهم وعدًا صادقًا حيث كرر تلك العبارة التي تذمر اليهود منها وابان الغاية المقصودة بها بقوله (انا هو خبز الحيوة اباؤكم اكلوا المنَّ في البرية وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الانسان ولا يموت انا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذي انا اعطي هو جسدي الذي ابذله من اجل حيوة العالم (: ٤٨ — ٥١) ولم يلتفت المسيح الى خصام اليهود حين فهموا كلامه حرفيًا وبالمعنى الحقيقي واستصعبوا الامر كي ينثني عن عزمه بل انه اعاد الكرة عليهم باشد العبارة واصعبها لهجة فقال لهم . الحق الحق اقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حيوة فيكم من يأكل جسدي و يشرب دمي فله حيوة ابدية وانا اقيمه في اليوم الاخير لان جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق من يأكل جسدي و يشرب دمي يثبت في وانا فيه كما ارسلني الاب وانا حي بالاب فمن يأكلني فهو يحيا بي هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ليس كما اكل اباؤكم المن وماتوا من يأكل هذا الخبز فانه يحيا الى الابد (: ٥٣ — ٥٨) ثم انه لم يلتفت الى تذمر التلاميذ واستصعابهم لسماع كلامه وارتيابهم في قدرته على احداث مدلول قوله بل قال لهم . أهذا يعثركم فان رايتم ابن الانسان صاعدًا الى حيث كان اولاً الروح هو الذي يحيي اما الجسد فلا يفيد شيئًا الكلام الذي اكلمكم به هو روح وحيوة : (: ٦١ و ٦٢) ولم يرحم ضعف الكثيرين من تلاميذه الذين تركوه من اجل ذلك الكلام بل انه قال للاثني عشر (ألعلكم انتم ايضًا تريدون ان تمضوا (: ٦٧)

المرتاب ـ لا ارى انا ولا اصحابي يرون وجهاً للقول بان هـذا الكلام يدل على ان الخبز والخمر هما جسد المسيح ودمه فان المقصود بقوله انا هو خبز الحيوة وهذا هو الخبز النازل من السماء لكي لا يأكل منهُ الانسان ولا يموت ومن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حيوة ابدية) انما هو الايمان بهِ فقط

المؤمن – اعلم يا صديقي ان اصحابك غلطوا بهذا التأويل وانا اريك وجه غلطهم اذا كنت تميل لي اذناً سامعة وتمهل عليَّ حتى اقي القول حقه

المرتاب ـ لا امنعك عما تريد ان تقوله

المؤمن ـ ان كلام المسيح في هذا المكان لا يقبل التأويل الى ان يكون المراد بأكل جسده وشرب دمه الايمان بهِ وشاهدي (١) ان عبارة المسيح يفهم منها انهُ كان يعد اليهود وتلاميذه بطعام جديد ما كان منحه لهم في الزمن الماضي ولم يمنحه لهم في الزمن الحالي بل وعدهم انهُ سيمنحهُ لهم في الزمن المستقبل والحال انه لو كان المراد بهذا الطعام الايمان بهِ لترتب على ذلك امران وهما اولاً الاَّ يكون احد من اليهود وتلاميذه امن بهِ الى ذلك الوقت لانهُ لم يذق احد ذلك الطعام المقصود بهِ الايمان بعد كما تقضي عبارتهُ وذلك باطل لان التلاميذ امنوا بهِ لما حوَّل الماء الى خمر في عرس قانا الجليل (يو ٢ : ١١) وامن بهِ جمهور لا يحصى عدده من اهل السامرة « يو ٤ : ٣٩ » وثانياً ان تكون دعوة المسيح لليهود الى الايمان بهِ لم تبتدئ قبل ذلك الحين ولا فيه بل بعده وهو باطل ايضاً لان المسيح دعا الناس الى الاقرار بربوبيته والايمان برسالته من حين اعتمد في نهر الاردن ان كان ذلك بواسطة يوحنا الكارز بالتوبة او بذاتهِ فاذاً لا يمكن ان يراد بوعد المسيح بأكل جسده وشرب دمه الايمان به (٢) انه لا يصح للمتكلم ان يعبر عن الحقيقة الواحدة في المكان

الواحد بجملة عبارات مجازية تختلف الواحدة عن الاخرى فلو كان المسيح استدل على مدلوله الحقيقي الذي هو الايمان على حكم البروتستانت بالمجاز والالغاز لكان اكتفى بدليل واحد لان المدلول واحد والحال انه لم يفعل كذلك فلم يكتف بعبارة واحدة ويجعل اكل جسده او شرب دمه الدلالة على الايمان به . بل قال (من يأكل جسدي ويشرب دمي) (٣) ان اكل اللحم حين يفسر بغير المعنى الحرفي في الكتاب المقدس بل بالمجازي لا يراد به الا عمل الشر والوقيعة والذم والاذية للقريب (مز ٢٧ : ٢ واي ١٩ : ٢٢ ومي ٣ : ٣ وغل ٥ : ١٥) فيكون معنى كلام المسيح على وفق ذلك (من يأكل جسدي) اي من يصنع بي شراً (له حيوة ابدية) (٤) ان المتكلم القاصد اخبار غيره بقضية ما كما في باب الاسناد الخبري من علم المعاني وافادته لهُ عن وقوع النسبة بين طرفي تلك القضية فله ان يورد القضية اولاً على حد بساطتها فان تردد المخاطب وارتاب في وقوع النسبة بين طرفيها فله ان يستعمل لتزيل الارتياب من المخاطب طرق التاكيد مثال ذلك اذا فرض ان المخاطب سمع من مخبره هذه القضية وهي (بولس توفي) فربما ارتاب بهذه القضية وظن ان مخبره يخدعه بها فتردد بين كذب القضية وصدقها ووقوعها اولا وقوعها فهنا يضطر المخبر ان يؤكد للمخاطب وقوع هذه القضية بما يزيل الوهم من عقله وينزع ما فهمه من خلاف ظاهر قضيته ويرجح لديه وقوعها فعلاً وذلك بان يقوي حكمها بلفظ مؤكد بقوله لهُ (ان بولس توفي) فلو اعترى المخاطب التردد في وقوع الحكم ايضاً فيلتزم المخاطب ان يزيد تاكيد الحكم للقضية بقدر ازدياد انكار المخاطب لها وتردده بها . فيقول لهُ (ان بولس لقد توفي) والحال ان المسيح فعل مع مخاطبيه هذا الفعل فانه لما تذمر اليهود في بدئ الامر من قوله لهم (انا هو الخبز الذي نزل

من السماء) ولم يصدقوه لم يعدل عنه بل اراهم الغاية المقصودة منه وفسره لهم بقوله (ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذي انا اعطي هو جسدي الذي ابذله من اجل حيوة العالم) ولما وقع الشقاق والانقسام بينهم لم يزد حكم القضية الا تأكيداً بعبارة اقوى واشد لهجة بقوله (الحق الحق اقول لكم ان لم تاكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حيوة فيكم من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حيوة ابدية وانا اقيمه في اليوم الاخير لان جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وانا فيه) (٥) ان الشيء كما قلنا سابقاً (في المسامرة السادسة وجه ٥٩) لا يمكن ان يكون حقيقة تفسر ما هو مجازي ويكون مجازاً يتوقف المعنى به على حقيقة اخرى . وذلك ان المسيح قال (انا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء) فما عتم ان استدرك تفسير هذه العبارة حالاً بما يظهر معناها بقوله (والخبز الذي انا اعطي هو جسدي الذي ابذله من اجل حيوة العالم) فيستحيل ان تكون هذه العبارة الاخيرة حقيقة تفسر العبارة التي قبلها وتكون استعارة يتوقف المعنى بها على غيرها والا لأدى بنا هذا التفسير الذي لم يقف عند حد الى التسلسل (٦) ان الدليل يتساوى مع المدلول عليه في الحقيقة والمجاز بحيث لا يمكن ان يكون الدليل حقيقة والمدلول عليه مجازاً والحال ان المسيح اورد على حقيقة جسده ودمه ادلة وهي اولاً ارساليته من الاب ثانياً حيوته بالاب ثالثاً حيوة من يأكله وهذه الادلة منطوية تحت قوله (كما ارسلني الاب الحي وانا حي بالاب فمن يأكلني يحيا بي) رابعاً) صعوده الى السماء بقوله للتلاميذ الذين تذمروا عليه واستصعبوا سماع كلامه (أهذا يعثركم فان رأيتم ابن الانسان صاعداً الى حيث كان اولاً) فاذا كان الدليل الاول والثاني والثالث والرابع

بطريق الحق فيكون المدلول عليه الذي هو اكل جسده ودمه بطريق الحق وان لم يكن هذا حقاً فلا تكون تلك الادلة حقاً واذ لا مجاز في الادلة فلا مجاز في مدلولها (٧) انه لا بد من مقابلة الشيء بالشيء الآخر من نسبة وعلاقة والحال ان المسيح قابل جسده بالمنّ الذي اكله اليهود في البرية فلو لم يكن كل من الجسد والمنّ موضوعاً حقيقياً وحسياً لما كان معنى لهذه المقابلة ولما كانت توجد نسبة او علاقة تقتضي مقابلة الواحد بالآخر لما بين الموضوع الحقيقي الذي هو المنّ والموضوع المجازي الذي هو الجسد من البعد واما اذا كان كل من الموضوعين حقيقياً فتكون النسبة هي الأكل بينهما والنتيجة الموت في الأول والحيوة في الآخر . كما قال (آباؤكم اكلوا المنّ في البرية وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الانسان ولا يموت)

المرتاب – انه يستدل من هذا النص الذي هو موضوع النزاع بيننا وبينكم على ان المراد بقول المسيح انا هو الخبز النازل من السماء انما هو مجازي لان المسيح ليس هو خبزاً بل ان الغاية من هذا الخبز هي الايمان به كما قال انا هو خبز الحيوة من يقبل اليَّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش ابداً ثانياً انه اوضح وفسر لتلاميذه الذين عسر عليهم ان يفهموا عبارته المعنى الحقيقي منها وذلك بقوله (الروح هو الذي يحيي اما الجسد فلا يفيد شيئاً الكلام الذي اكلمكم به هو روح وحيوة (يو ٦ : ٦٣) اي ان اقواله المكررة هي روحية لا تفيد معنى حسياً بل تفيد الايمان به وسماع تعاليمه فقط

المؤمن – لا اسلم لك بان هذين القولين يفيدان كما يستفيد منهما اصحابك فان العبارة الاولى التي توهمت بها شيئاً من المجاز كانت تقتضي ان تكون هكذا (انا هو الخبز الذي نزل من السماء وهذا الخبز الذي انا اعطي هو الايمان

بي والحال انهُ لم يقل كذلك بل قال (والخبز الذي اعطي هو جسدي الذي ابذله من اجل حيوة العالم) على انهُ لوكان المقصود بالخبز الايمان به دون غيره لما احتاج الامر الى كثرة الاقوال وتكرارها وتأكيدها وتأييدها بما يسد كل باب المجاز ولا يدع وجهاً له فان قوله (مأكل حق ومشرب حق) ينفي كل استعارة وكل مجاز . فلو كان قصد المسيح بكلامه وخلاف ما تبادر الى فهم اليهود وتلاميذه لبادر حالاً الى رفع الابهام عنهم كما كان يفعل في مواضع شتى (يو ٣ : ٣-٥ و ٤ : ٣٢ و٣٣ و ١١ : ١١ و ١٤ و١٦ و ١٨ : ١٨ - و ٢٤ ومت ١٦ : ٦ و ١٩ : ٢٤)

والعبارة الثانية وهي قول المسيح (الروح هو الذي يحيي اما الجسد فلا يفيد شيئاً الكلام الذي اكلمكم به هو روح وحيوة) فان كان يعني اصحابك البروتستانت بان الجسد في قوله (الجسد لا يفيد شيئاً) هو جسد المسيح فتكون ضلالتهم الاخيرة اشر من الاولى لان جسد المسيح لاتحاده باللاهوت الاتحاد الذاتي الطبيعي وعدم افتراق اللاهوت منهُ طرفة عين هو حي ومحيي لاننا بالآمه وجراحه واوجاعه واهاناته نجونا وعفي عنا واما اذا كان ذلك الجسد هو خلاف جسد المسيح فيكون المعنى في ذلك اليهود الذين نظراً لكونهم عاشوا عيشة الجسد وارتبطوا بالعالم ارتباط الروح بالبدن وتسمروا به وتمرغوا بشهواته وانعكفوا على ملاذه ومطرباته ولم يعودوا يتعقلون المعاني ويركنونها ويدركون الامور ويعرفونها دعاهم جسداً وصاروا مولودين من الجسد وغيرهم دعاهم روحاً وصاروا مولودين من الروح على حد قوله تعالى (المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح (يو ٣ : ٦)

واما قوله الكلام الذي اكلمكم به هو روح وحيوة . فالمقصود بالروح هنا السمو والرفعة اي ان كلامه جليل وسام ورفيع المنزلة لا انهُ مجازي كما يعتبره

اصحابك البروتستانت والا لكان كل ما اتصف بالروح ودعي روحياً او روحاً يكون مجازاً لا حقيقة والحال ان الانسان دعي روحاً حالة كونه جسداً ايضاً (يو ٣ : ٦) ودعي طعام بني اسرائيل وشرابهم روحياً ١١ كو ١٠ : ٣ و ٤) مع ان ذلك الطعام كان مناً لا وهماً وذلك الشراب كان ماء لا مجازاً . فالمقصود بالحيوة هنا ايضاً فاعلية الكلام وشدة تأثيره كما قال الرسول . كلمة الله حية وفعالة (عب ٤ : ١٢)

المرتاب - لا يسعني ان اقول الا ان كل اقوال المسيح عن جسده ودمه لا يشتم منها رائحة الحقيقة وكل ما اوردته يا صديقي وكلفت خاطرك به عبثاً وعانيت فيه التعب لا يفيد شيئاً فدع عنك الكلام الفارغ الذي لا فائدة فيه وتكلم في موضوع يفيد هذا الجمع الحاضر الذي ملَّ من كثرة كلامك وسئمت نفسهُ من سماع شقشقة لسانك

المؤمن - انا لا اظن ان هذا الجمع ضجروا من كلامي فاني اراهم يتتبعون لهُ بكل امعان وينتظرون الكلمة التي تخرج من فمي بتلهف

المرتاب - اذا كنت حضرتك غير واثق بقولي ولست بمصدق بحديثي فارجوك ان تسأل من غيري

﴿ المسامرة التاسعة في اعتقاد البروتستانت بالعشاء السرّي ﴾

قال الراوي وكان المؤمن يعلم حق العلم ان اناساً كثيرين من البروتستانت يتمقمون عليه ويتذمرون فلم يرض ان يلقي سؤالاً على احد بهذا الخصوص بل قال ان الوقت يقضي على كل منا ان يمضي ولم يبق معنا زمن للكلام فارجوك يا صديقي ان تعفيني من الحديث الآن وتأذن لي بالانطلاق . قال ذلك وقام

لينطلق فاقتفى اثره الكل وخرجوا جميعاً ولم يبق احد غيري فتذكرت الرجل الذي كان الخادم وعدني ان يعرّفني به وتأسفت لعدم حصولي على معرفة هذا الرجل واضمرت في قلبي اني اعاتب الخادم واوبخه على عدم احتفاله واهتمامه بي ولم اكد انتهي من هذا العزم حتى وافى الخادم فعاتبته بذلك فاعتذر لي بما صادفه اثناء ذلك النهار من كثرة الاشغال فصرفت عن لومه نظراً وطلبت اليه ان يوقظني في الصبح عند ما يروم التوجه مع متبوعيه الى الكنيسة لكي امتع النظر بمشاهدة ذلك الاحتفال فاجاب طلبي ووعدني بان يفعل ذلك ولما قرب النور من الظهور انتبهت من النوم وقمت منزعجاً اذ سمعت من يطرق على باب المنزل ففتحت باب الغرفة واسرعت الى الباب الكبير وفتحته فرأيت رجلين اورباويين يحاولان الدخول فمنعتهما وقلت لهما ان ينتظرا مسافة قليلة كي ادعو واحداً من اصحاب المنزل وبادرت الى الدخول مسرعاً الى حيث الخادم فايقظته واخبرته بجلية الامر فاسرع الى الباب ولما رأى ذينك الرجلين دنا مني وسارّني قائلاً انهما قسيسا البروتستانت احدهما مستوطن والآخر ضيف غير انهما لم يعتادا على المجيء في مثل هذا الوقت الا لامر ذي بال فتذكرت قول الخادم لي سابقاً ان العريس لايزال تلميذاً في مدرسة البروتستانت وعرفت الغاية من مبادرتهما الى المجيء قبل ان يستيقظ احد . وقلت للخادم اظن يا ولدي ان (المرتاب) ذهب البارحة مساء واخذ الاحتياطات اللازمة ليمنع ابا العريس من تقريب ابنه وعروسه من السرائر المقدسة فاجاب الخادم قائلاً وانا اظن ان الامر كذلك . ثم ان الخادم دعاهما الى غرفة الاستقبال ودخل المنزل الى حيث سيده ليدعوه الى مخاطبتهما وبعد مضي وقتاً قليلاً جاء ابو العريس فجعل الاثنان يكلمانه بخصوص اشتراك ولده وعروسه في جمعيتهما فأخذ في مبدإ الامر يدافع ويمانع لكنه ما عتم ان قال

لهما اخيراً سانظر في هذه المسئلة واتروى بها وكانت هذه المحاورة استغرقت وقتاً كبيراً فلما توجهنا الى الكنيسة بدون ان يمضي معنا العريس وجدنا الصلوة على وشك الانتهاء فتأخرت بعد فراغ القداس طول ذلك النهار عند الاسقف الى ان قرب المساء فاستأذنت من قدسه وتوجهت الى منزل اقامتي حيث وجدت الغرفة غاصة بالناس وسمعت المرتاب عند دخولي يقول للمؤمن

المرتاب – ما اكثر جهل الاقباط فانهم يعبدون الاصنام ويسجدون للاوثان وقد ملأوا كنائسهم من آلهة الامم الشياطين وعبدوا المخلوقات دون الخالق

المؤمن – لا اسمح لك ابداً يا صديقي بالدخول في غير الموضوع الذي نحن في صدده قبل الخروج منه

المرتاب – لقد كنا انتهينا منه الليلة الماضية حين اثبتنا ان كلام المسيح الذي كنت تحاورني به انما هو استعارة لا حقيقة

المؤمن – لم تورد لي ادلة كافية تجعلني ان اقتنع بان تلك الاقوال السيدية هي مجاز واستعارة ومع هذا كله فان عندي من الادلة الاخرى ما تنزع الريب منك وتجعلك واثقاً ومقراً بان الخبز الذى نقدمه على المذبح والخمر الذى نسكبه في الكاس هما بعد الصلوة جسد المسيح ودمه حقاً

المرتاب – ما هي هذه الادلة التي تزعم انها تصيّرني معتقداً بخرافات الاقباط واكاذيبهم

المؤمن – ان الانجيليين متى ومرقس ولوقا شهدوا بان الرب يسوع فى العشاء الاخير اخذ خبزاً وبارك وكسر واعطى تلاميذه وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى الذى يعطى من اجلكم اصنعوا هذا لذكرى واخذ الكاس وشكر واعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم لان هذا هو دمي الذي للعهد الجديد

الذي يهرق عن كثيرين لمغفرة الخطايا (مت ٢٦ : ٢٦ مر ١٤ : ٢٢ لو ٢٣ : ١٩) ولا اخالك تجهل الاناس الذين فعل المخلص قدامهم هذا الامر وامرهم ان يفعلوه على الدوام فانهم هم الرسل الذين احبهم المسيح الى المنتهى (يو ١٣ : ١) ودعاهم احباءه (١٥ : ١٥) واولاده (٣ : ١٣) ثم لا اخالك تجهل الظروف التي نطق المسيح فيها بتلك الاقوال فانه نطق بها في برهة لم يتكلم مع التلاميذ بامثال (يو ١٦ : ٢٩) نطق بها في ساعته الاخيرة ساعة الوداع التي يفتح الانسان قلبه لاصدقائه ويخاطبهم لا بالالغاز والمجاز والاستعارة والتشبيه بل بلسان بسيط وعبارة واضحة واقوال صريحة

المرتاب — انا نستعمل العشاء الرباني كما امرنا المسيح بطريقة واجبة علينا وندعوه سرًّا لان السيد باركه وسلمه لرسله لاعلى رؤوس الاجهار بل في العشاء تحت جناح الظلام لكنا لا نقربه انهُ واسطة ضرورية للخلاص فانه يُمكن النجاة بدونه كما يمكن النجاة بدون المعمودية « الجزء الثاني من نظام اللاهوت صحيفة ٤٦٠ » وذلك لان المسيح لم يحصر الخلاص به بل جعله واسطة بسيطة لتذكار آلامه وموته كما قال «اصنعوا هذا لذكري » والكنيسة لم تصنع هذا السر على غير هذا القصد كما تعلم ذلك من قول الرسول للمسيحيين « فانكم كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكاس تخبرون بموت الرب الى ان يجيء » (١ كو ١١ : ٢٦)

المؤمن — ان هذا الاعتقاد يخالف اعتقاد المسيحيين في كل الاجيال سيما في الجيل الاول والثاني كما شهد واحد من علمائكم الذي قال (لما مارس المسيحيون العشاء الرباني وذلك كان غالبًا يوم الاحد كانوا يقدسون بعض خبز قرابين الشعب وخمرها بصلوات معلومة يتلوها الرئيس اسقف الجماعة وكانت الخمر ممزوجة بماء والخبز يقسم فتاتًا وكان يرسل حصص من الخمر والخبز المقدسين الى الغائبين

والمرضى شهادة محبتهم الاخوية لهم وكان هذا الطقس الاقدس يعتبر عندهم ضروريًا لنوال الخلاص والبراهين على ذلك كثيرة ولهذا لا اجتري ان اغلط الذين يعتقدون ان العشاء الرباني كان يعطى في هذ القرن في شمال افريقيا للاطفال (موسهيم قرن ٢ ف ٤) ثم ان الاقرار بان السر وضعه المسيح وسلمهُ لرسله وجعله تذكار الامه وموته لا ينفي كونه جسده ودمه والا بحسب رأيك ما كان للمسيح محل لان يقول عنه « هذا جسدي وهذا دمي » وذلك لان التذكار يكون كما قال السعيد الذكر عوض ان افندي مفتاح في كتاب الدرة البهية باحد اربعة انواع فيكون بكتابة الوقائع والحوادث كما فعل موسى النبي وعزرا الكاتب والانجيليون وبعض من الرسل والرسوليين ومؤرخي المسيحيين الصادقين او بالصورة والمثال نظير الكاروبيم اللذين صنعهما موسى عن امر الله ووضعهما في قبة الشهادة (خر ٢٥ : ١٧ — ٢٢) او بالاثر والمكان كالحجارة التي اخذها يشوع بن نون من ارض الاردن وجعلها ذكرًا لعبورهم في اليبس من وسط النهر (يش ٤ : ١ — ٩) او بالذات والعين كما فعل موسى عن امر الله بالمن فانه ملأ منه قسطًا من ذهب وجعله في القبة تذكارًا للمن الذي انزلهُ الله لبني اسرائيل في البرية (خر ١٦ : ٣٢ و٣٣) وعلى ذلك يلزم ان يكون التذكار الذي امر المسيح الرسل والمسيحيين ان يتذكروا به موته بنوع واحد من هذه الانواع الاربعة اي اما ان يكون بخبر المسيح المراد تذكارهُ وتاريخه الذي تضمنه الانجيل المقدس او بصورته ورسمه وهيئته او بأثر من اثاره كالصليب والحربة والمسامير والقصبة والاسفنجة او من ذاته وهو المقصود بتذكار المسيح الذي سلمه لرسله لانه لم يسلم لهم اثرًا من اثاره او صورته او تاريخه ويجعل ذلك تذكارًا لرسله ليتذكروه به الى ان يأتي بل انه بارك الخبز وصيره جسده وامر رسله ان يصنعوه على منواله لتذكاره المجيد

المرتاب — ان قول المسيح عن الخبز (هذا هو جسدي) وعن الخمر (هذا هو دمي) الذي تستندون عليه لا يفيد ابداً ان الخبز صار جسده بل انهُ رمز الى جسده ويمثله · فان قوله (هذا هو جسدي) نظير قوله انا هو الباب (يو ١٠ : ٩) وقوله انا هو الطريق (١٤ : ٦) وقوله عن هيرودس (هذا الثعلب) (لو١٣: ٢٢) فان كان المسيح صار باباً وطريقاً وصار هيرودس ثعلباً فيكون الخبز صار جسده والحال انهُ لم يصر المسيح باباً وطريقاً بوجه الحق ولم يصر هيرودس ثعلبا بوجه الحق فاذا لم يصر الخبز جسداً

المؤمن — اننا لا ننكر ان قوله انا هو الباب او الطريق مجاز واستعارة كما اننا لا ننكر انهُ تكلم بالامثال والاستعارة في اماكن شتى غير انهُ جعل قيداً في عباراته الاستعارية تتميز بهِ عما سواها وهـذا القيد اما انهُ حسي او معنوي فالاول وهو الذي يميز الاقوال المجازية باداة التمثيل كما ورد في (مت ١٣ : ٣ و ٢٤ و ٣١ و ٣٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٧ و ٢٢ : ٢ ولو ١٢ : ٣٦ ومر ٤ : ٢٦) والثاني وهو الذي يميز العبارة الاستعارية بما يليها من الكلام الذي يفسرها فان قوله (انا هو الباب) مفسر بقوله التالي (ان دخل بي احد فيخلص) يعني انهُ واسطة للدخول والوصول الى الحيوة الابدية · وكذا قوله انا هو الطريق مفسر بقوله التالي (ليس احد يأتي الى الاب الاَّ بي) وقد سمى المسيح ذاته باباً وطريقاً لانهُ يوجد نسبة وعلاقة بين الباب والطريق وبين المسيح وهذه النسبة هي الدخول في الاول والوصول في الثاني كما توجد علاقة بين هيرودس والثعلب تقتضي تشبيه الاول بالثاني هي المراوغة او المكر · والحال ان لا علاقة ولا نسبة بين الخبز وجسد المسيح وبين الخمر ودمه تجعل احدهما شبيهاً بالآخر واما قولك ان الخبز هو رمز على جسد المسيح فهو باطل لان الرمز يتقدم

المرموز عليه ويسبقه ومتى جاء المرموز عليه بطل الرمز ولم تبق حاجة اليه وحيث ان المسيح ابطل بمجيئه جميع الرموز والاشارات التي تقدمت عليه ولم تبق ضرورة لاستعمال الرمز لوجود المنافاة بين النقص والكمال وابتعاد الواحد عن الآخر وعدم اجتماعهما في الوقت الواحد على حد قول الرسول ان طريق الاقداس لم تظهر بعد مادام المسكن الاول لهُ اقامة وهذا رمز للوقت الحاضر الذي فيه تقدم قرابين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير ان تكمل الذي يخدم (عب ٩ : ٨ و ٩) فلم تبق حاجة للرموز بوجود المسيح الذي هو تمامها وموضوع ختامها ولا محل للقول بان الخبز يمثل جسد المسيح وذلك لضرورة وجود العلاقة بين المثل الذي هو الخبز وجسد المسيح الذي هو الممثول والحال ان هذه العلاقة غير موجودة فانهُ لا نسبة بين احدهما والآخر لا في الصورة ولا في الجوهر ولا في العرض ولا في المعنى · على انهُ يوجد مانع آخر عظيم الاهمية يبعدنا عن القول بان الخبز هو مثال او صورة لجسد المسيح وهو ان الرسول الذي اورد عبارة المسيح التي اوردها الانجيلي حرفياً كما هي يحذرنا فيها من الاقتراب الى هذا الخبز والى هذه الكاس بدون استحقاق واستعداد كما يقضي مقامهما الالهي ويفرض على من يفعل عكس ذلك بالجرم العظيم والدينونة · وهاك قوله(لانني تسلمت من الرب ما سلمتكم ايضاً ان الرب يسوع في الليلة التي اسلم فيها اخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لاجلكم اصنعوا هذا لذكري كذلك الكاس ايضاً بعد ما تعشوا قائلاً هذه الكاس هي العهد الجديد بدمي اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري فانكم كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكاس تخبرون بموت الرب الى ان يجيء · اذاً اي من اكل هذا الخبز او شرب كاس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه ولكن

ليمتحن الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكاس لان الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب (١ كو ١١ : ٢٣ - ٢٩) فقد ضمن الرسول نصه هذا امرين وهما اولاً انه اورد الفاظ المسيح عينها فلو كانت تلك الالفاظ تشير الى غير المعنى الذي يتبادر للفهم منها لما كان الرسول اوردها على علاتها بل كان اقتصر على الغاية منها لكنه لم يفعل ذلك بل انه اوضح في مكان آخر ان الاشتراك في الخبز هو اشتراك حقيقي في جسد المسيح وان الاشتراك في الكاس هو اشتراك حقيقي في دم المسيح لا اشتراك وهمي ولا صورة ولا مثال وذلك بقوله · اقول للحكماء احكموا انتم في ما اقول · كاس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح · الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح (١ كو ١٠ : ١٥ و ١٦) ثانياً انه ابان منزلة هذا السر وحذر المؤمنين من الاقتراب اليه بغير استعداد بحيث لم يجعل محلاً للقول بان الخبز والخمر هما صورة ومثال جسد المسيح ودمه · ولعجبي ما قالته جريدة الحق في عدد ٣٧ من السنة الثانية بهذا المعنى (لا يستقيم للبروتستانت اللوم والتنديد علينا لاننا نشرك اولادنا من هذا السر وهم صغار السن لا يدركون اهميته ماداموا يقرون ان الخبز والخمر هما صورة ومثال لجسد المسيح ودمه بقطع النظر عما اذا كان الاطفال مستحقين لذلك او لم يكونوا مستحقين لهُ وقد قلت انهُ لا يستقيم لهم تصويب سهام اللوم نحونا لمخالفته لمبداهم الذي هو ان الصورة والمثال هما خلاف الذات والجسم ومن يحتقر او يكرم الصورة والمثال فلا يحتقر او يكرم الذات والجسم فينتج على مقتضى مبادي الاخصام ان من يحتقر او يكرم الخبز والخمر اللذين هما صورة المسيح ومثال جسمه لا يحتقر او يكرم المسيح عينه)

المرتاب - ان الجريمة التي تلحق المتناول من هذا السر لا من قبل كونه يتناول جسد المسيح ودمه بل من قبل كونه يتناول خبزاً مقدساً ومباركاً ومكرساً باسم المسيح كخبز الوجوه الذي كان يقربه اليهود وما كان يحل أكله لغير الاطهار (١ صم ٢١ : ٤) والدليل على ان الخبز الموضوع للسر لم يزل خبزاً وان الانسان لا يتناول منهُ الا خبزاً هو قول الرسول (كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكاس تخبرون بموت الرب الى ان يجيء) وقال (اذاً اي من اكل هذا الخبز او شرب كاس الرب) وقال : لاننا نحن الكثيرين خبز واحد وجسد واحد لاننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد (١ كو ١٠ : ١٧)

المؤمن - ان هذا الافتراض او الاعتقاد يخالف قانون العقل والنقل اما الاول فلانهُ لا يعقل ان الله يعطي للانسان شيئاً ويطالبه بشيء آخر ما لم يكن ظالماً والا فكيف يناسب عدله ان يعطينا ارضاً ويطالبنا بسماء وكيف يعطينا حجرة ويطالبنا بجوهرة بل كيف يمنحنا الخبز الذي جعله قوتاً وغذاء للاشرار والاخيار من مخلوقاته ويطالبنا بجسد ابنه الوحيد الجنس ويجعل من يأثم بالاول في مساواة الذي يأثم بالثاني · واما الثاني فلان المسيح بارك عدة مرار على الخبز واشبع منهُ الوفاً ومع ذلك فلم يحكم بالجريمة على احد من الذين تناولوه كما حكم الكتاب على من يأكل من خبز الافخارستيا بغير استحقاق وكذلك بارك الخمر بتحويلها من الماء وفوض للناس ان يشربوها ولم يحكم على احد منهم بالاثم فاذاً لو لم يكن الخبز المأكول بغير استحقاق هو جسد المسيح لما كان محل لهذه الجريمة والدينونة اللتين يحذر الرسول المؤمنين من الوقوع فيهما ولما كان وجه للرسول ان يشهد على ان الذي يأكل ويشترك من الخبز يشترك من جسد المسيح والذي يشرب من الخمر يشترك بدم المسيح · وان الذي يأكل ويشرب بدون

استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه . و يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب واما قول الرسول (هذا الخبز وهذه الكاس) فلا ينافي تحويلها الى جسد المسيح ودمه وذلك لان الشيء يدعى بالصفة التي كان عليها كما دعيت ماء الخمر المتحولة فان الانجيل بعد ان ذكر معجزة تحويل الماء الى خمر قال - فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرًا (يو ٢ : ٩) وكما دعي لعازر الحي ميتاً . بقول الانجيل فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطتان باقمطة (يو ١١ : ٤٤)

المرتاب - ان العلة في كون الكتاب يستذنب الذي يتناول هذا السر بغير استحقاق ويحكم عليه بالدينونة ليست من قبيل كون المتناول يأكل بغير استحقاق خبزاً مقدساً فقط بل من قبيل كونه يؤمن ان الخبز هو جسد المسيح فان الذي يعتقد انهُ يتناول من الخبز بصفة كونه جسد المسيح فانهُ يكون لهُ جسد المسيح (تاريخ الاصلاح جزء ا ف ٩ وجه ١٤٢) وبحانة النفوس باب ٧ ف ٢) كتاب الثلاثة عشر رسالة تأليف المعلم اسحق برد (رسالة ٨) الاعتراف بحرية الايمان تأليف بروتستانتيوقوس في صعيد مصر (ف ١٣)

المؤمن - ألم تشعر يا صديقي بشيء من المناقضة في مبادي اصحابك هذه فانهم يقولون من وجه ان الخبز هو مثال ورمز وصورة لجسد المسيح ومن آخر . ان الذي يؤمن ان الخبز هو جسد المسيح فيكون جسد المسيح فعلى ماذا يستند اصحابك في اثبات دعواهم الاخيرة هذه من تعليم الكتاب اذا كانوا يعتبرون اقوال المسيح بشأن هذا السر مجازية . فان السيد لم يقل للتلاميذ في العشاء السري لما اعطاهم الخبز (خذوا كلوا من يؤمن انهُ جسدي فيكون جسدي) بل قال لهم (هذا هو جسدي) فان كانت هذه العبارة

مجازية فيبقى لا محل لدعوى اصحابك (بان الذي يؤمن بالخبز انهُ جسد المسيح فيكون لهُ جسد المسيح . ومن وجه آخر ان الشهادة والامر والميثاق لا يتخللها اقوال يفهم منها معنيان مزدوجان يخالف احدهما الآخر والسر الرباني يتضمن الثلاث قضايا فان المسيح شهد لجسده بانه مأكل حق ولدمه بانه مشرب حق وشهد للخبز انه جسده وللخمر انها دمه كما شهد للآب ان كلامه حق (يو ١٨ : ١٧) وكما شهد له الآب انهُ ابنه الوحيد (مت ٣ : ١٧ و١٧ : ٥) (١ يو ٥ : ٩) فاذا كانت الشهادة الاولى مجازية فتكون شهادته لابيه وشهادة ابيه لهُ مجازيتين ويكون الحكم بموجب هذه الشهادات غير صحيح ولا ثبات لهُ لان الحكم يطلب شهادة صريحة وصحيحة لا تقبل تأويلاً . وامر تلاميذه ان يصنعوا ذلك السر لذكره وهذا الامر لم يكن في حالة كون الخبز والخمر على حالهما بل عقيب تحويل المسيح لهما الى جسده ودمه فلو كان هذا الامر مجازياً لكانت سائر اوامره مجازية ووضع هذا السر ميثاقاً بينه وبين المؤمنين وجعله شرطاً للخلاص وقرن به الحيوة وبغيره الموت فانهُ قال لتلاميذه واليهود (ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليست لكم حيوة فيكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حيوة ابدية وانا اقيمه في اليوم الاخير) وحين منحه لرسله صرح بهذا الميثاق وجعل دمه شرطاً في عقده مع المؤمنين بقوله (لان هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من اجل كثيرين لمغفرة الخطايا) ويجري الحكم في الميثاق والعهد على حسب شروط المتعاقدين ويستحيل ان يثبت العقد اذا تخلله اقوال مبهمة توجب الاشكال والنزاع فان ذلك يخالف شروط العهد والعقد . وعهد المسيح مع رسله نظير العهد الذي عقده موسى مع الله والشعب الذي مع انه كان رمزاً يشير الى امر آخر فانه عقد بشرط واجب وجودي وحقيقي .

فان موسى اخذ الدم ورش على الشعب وقال: هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الاقوال (خر ٢٤ : ٨) فان كان ذلك الشرط الذي عقد به موسى العهد مجازياً فيكون شرط المسيح الذي عقد به عهده مع رسله مجازياً ايضاً والعكس بالعكس

المرتاب – اني ما زلت اقر ان الذي يأكل مؤمناً ان الخبز هو جسد المسيح فيكون له جسد المسيح واما بخلاف ذلك فانكر لاني اذا اكلت منه فلا اذوق غير ذوق الخبز واذا شممته فلا اشعر بغير رائحة الخبز

المؤمن – انا الآن اترك قضية استحالة الخبز الى جسد المسيح على جانب لعلي ان ما اوردته لك من البراهين هو كاف وانما احاورك باقوالك المختلفة فانه كيف يكون الخبز خبزاً من وجه ويكون على حسب ايمانك جسداً من وجه آخر هاتان قضيتان تضحك من سماعها الثكلى

المرتاب – ألم تسمع ما قاله المسيح لفاقدي البصر (بحسب ايمانكما ليكن لكما) (مت ٩ : ٢٩) وانا كذلك اذا امنت بان الخبز هو جسد المسيح فيكون جسده

المؤمن – ان ايمان الاعميين بان المسيح يقدر ان يعيد لهما البصر هو الذي فتح عينيهما ولم يبق حاجة بعد ذلك لايمانهما ليستمرا ناظرين . فلو اعتقد احدهما بانه صار بعد ذلك اعمى لما صار اعمى ولو اعتقد قبل ان يصير مفتحاً انه صار ذا بصر دون قدرة المسيح وفاعليته لما صار ذا بصر ولو لم يؤمن واراد المسيح ان يفتح عينه لما اعاقه عدم امانته عن تفتيح عينيه فانه لم يجعل الايمان في كل الاماكن واسطة لمعجزاته ونفاذ قدرته بل فعل عكس ذلك فانه حول الماء خمراً في عرس قانا الجليل فآمن به تلاميذه (يو ٢ : ١١) فجعل المعجزة واسطة

للايمان به . فالشيء لا يتحول عن طبيعته آمنت به اولم تؤمن حيث لا علاقة ولا رابطة ولا واسطة بين ايمانك وبين ذلك الشيء تقرب احدهما من الآخر وتجعل الاول يؤثر على الثاني ويحوله عن طبيعته الى طبيعة اخرى . فاذاً لا يمكن ان يكون الخبز بحسب ايمانك جسداً وبحسب ايمان غيرك خبزاً . واني اتذكر المحاورة التي حدثت بين ايراسموس اب البروتستانت والدكتور تومامور في انكلترا فكان الاول يعتقد ان الخبز والخمر هما جسد المسيح ودمه واما الثاني فكان يختلف عنه بذلك ويقول له . اعتقد بان لك جسد المسيح فانه يكون لك . واتفق ان ايراسموس استعار حصان تومامور ليركبه الى شط البحر فأخذه الى بلاده وحالما بلغ تومامور ذلك كتب له مكتوباً قاسياً فاجابه ايراسموس بهذه الابيات انك قد قلت عن حضور المسيح الجسدي : اعتقد بانه لك فيكون لك . وهكذا جوابي عن الحصان الذي اخذته اعتقد انه عندك فيكون عندك .

تاريخ الاصلاح جزء ٢ ف ٩)

المرتاب – اني لم اسمع بهذه الواقعة الى الآن ولم ارَ التاريخ الذي نقلتها عنه ولا اصدق ان البروتستانت اختلفوا في اعتبار العشاء الرباني البتة

المؤمن – اذاً تجهل المناظرة الشديدة عن هذا السر التي حدثت بين مرتين لوثر وبين تلاميذه والتي قامت من اجلها روساء الاصلاح وقعدت

المرتاب – انك تختلق اموراً وهمية لا حقيقة لها لتقطع بها الوقت بلا فائدة

المؤمن – لا أكذب عليك بذلك وما اعتدت على الكذب فثق بكلامي واعتبر ان ما اورده لك هو صحيح لا يتخلله كذب

المرتاب – اذاً قل طرفاً من المحاورة التي تذكرها لنعلم ماذا قال كل فريق

المؤمن – وورد في تاريخ الاصلاح ما نصه · قال لوثيروس اني اصرح باني اختلف عن اخصامي في تعليم عشية الرب واني اختلف دائمًا عنهم فان المسيح قال هذا هو جسدي فليبنوا لي ان الجسد ليس جسدًا واني رافض العقل والعرف والاحتجاجات اللحمية والبراهين التعاليمية فان الله هو اعلى من الهندسيات وعندنا كلام الله فيجب علينا ان نحترمه ونكمله

قال اكولمباديوس – لا ينكر وجود المجاز في كلام المسيح مثل قوله عن يوحنا هو ايليا والمسيح هو الصخرة وانا هو الكرمة وقوله له المجد هذا هو جسدي هو من قبيل المجاز ايضًا · · ثم ان المسيح الذي قال لاهل كفر ناحوم ان الجسد لا يغني شيئًا نفى بواسطة هذه الكلمات نفسها مضغ جسده بالفم

لوثيروس – اني انكر الصغرى ان المسيح لم ينف كل مضغ بالفم بل فقط المضغ المادي نظير مضغ لحوم الثيران والخنازير

اكو – ان في انتساب ذلك الى المادة المحضة خطرًا

لو – ان كل ما يأمر به الله يصير روحًا وحيوة فاذا رفعنا قشة بامر الرب فانا بهذا العمل نفسه نعمل عملاً روحيًا فالواجب علينا ان نلتفت الى المتكلم لا الى ما يقوله فان الله يتكلم والناس يسمعون فاذا أمر الله فليطع العالم ولنخر جميعنا معًا ونقبل الكلمة بتواضع

اكو – بما اننا نأكل اكلاً روحيًا فما هو الاحتياج الى اكل جسدي

لو – لست اسأل ما هي الحاجة الى ذلك ولكني ارى انه قد كتب كلوا هذا هو جسدي ولهذا يجب عليّ ان اؤمن واعمل فيجب ان نعمل · يجب ان نعمل فلو امرني ان اكل الزبل لاكلته واثقًا بانه يفيدني

قال زونكليوس · يجب ان نفسر الكتب المقدسة بالكتب المقدسة ولا نقدر

نسلم بنوعين من الاكل الجسدي كأن المسيح تكلم عن الاكل واهالي كفر ناحوم عن التقطيع اراباً لان اللفظة الواحدة بعينها استعملت في الموضعين · فالمسيح يقول ان اكل جسده لا يفيد شيئًا فمن اين ينتج انه اعطانا في عشية الرب شيئًا يكون منه فائدة لنا

المؤمن – ان المسيح لم يقل ان اكل جسده لا يفيد شيئًا بل قال ان الجسد لا يفيد شيئًا · فالاستاذ السويسي استعمل المغالطة في كلامه مع الاستاذ السكسوني

لو – عندما يقول المسيح ان الجسد لا يغني شيئًا يتكلم عن جسدنا لا جسده

زونكليوس – ان الروح تقتات بالروح لا بالجسد

لو – اننا انما نأكل الجسد بالفم واما النفس فلا تأكل

زو – فجسد المسيح اذًا هو غذاء جسدي لا روحي

لو – انك لمحتال

زو – ليس الامر كذلك ولكنك تتلفظ بامور متناقضة

لو – اذا كان الله يقدم لي تفاحًا بريًا فاني اكله · كلاً «روحيًا» ففي الافخارستيا الفم يقبل جسد المسيح والنفس تؤمن بكلامه

زو – ان المسيح لم يشأ ان يجيب في (يو ٦) على السؤال الذي القي عليه

لو – يا معلم انك تريد ان تسد فمي بواسطة وقاحة كلامك فان تلك الآية لا تعلق لها بهذا الامر

زو – سامحني يا عالم ان تلك الآية تكسر رقبتك

لو – لا تفتخر بهذا المقدار فانك في (هسى) لا في (سويسرا) فانا في هذه البلاد لا نكسر رقاب الناس

زو ـ انك بذلك ترجّع البابوية

لو ـ ان ذلك لا يتم باستحقاقات الخوري ولكن بسبب رسم المسيح فمتى كان البحث عن جسد المسيح فلا اسمع الكلام عن مكان مخصوص ولا يمكن ان اسمع ذلك مطلقاً ٠ انتهى بتصرف (مجلد ٢ ف ٧)

﴿ المسامرة العاشرة ﴾

﴿ في الرد على اعتراضات البروتستانت بشأن العشاء السري ﴾

قال الراوي فلما انتهى المؤمن الى هذه العبارة قام واحد من الجمع وقال بصوت عال ٠ أ لعلكم تريدون ان تسهروا الى ان يطلع الفجر فانه مضى من الليل اكثر من نصفه فالتمس بلسان العموم من المتناظرين ان يكفا عن الكلام ويقتصرا على ما اورداه الآن واذا اراد الرب وبقينا من الاحياء نأتي الليلة القابلة منذ غروب الشمس لنتمكن من سماع كل مايريد ان يقوله المتناظران ٠ وما كاد يتم عبارته هذه حتى نهض الجمع وانصرفوا الى حال سبيلهم وكان الطعام مستعداً لي فتعشيت ونمت وفي الصباح دعوت الخادم على قصد ان اكلفه لينطلق معي الى منزل العالم القبطي الذي ذكره لي سابقاً لانعرف به فاجاب طلبي وتوجه معي ولما وصلنا منزله سبقني الخادم ليخبر العالم بامري ثم عاد بعد مسافة قليلة واقتادني الى غرفة حيث وجدت صاحبنا (المؤمن) وبجانبه رجلاً شيخاً تلوح على هيئته الهيبة والجلالة فمد الخادم اصبعه نحوه واشار اليّ سرًّا فعلمت انه هو ضالتي التي انشدها وغايتي التي اقصدها فحييت العالم بالسلام وجلست بجانبهما فاعلمهما الخادم بامري فرحبابي ثم التفت العالم الى الخادم وقال له

العالم ـ دعانا سيدك البارحة لنحضر احتفال تقرب ابنه من الاسرا المقدسة فقبلنا الدعوة ولكن حين توجهنا الى الكنيسة لم نجد احداً من اسياد فاضطربنا ولم نعلم السبب الذي اوجب هذا التأخر

الخادم ـ اعلم يامولاي الشيخ ان نهار الاحد بينما كنا عازمين ع التوجه الى الكنيسة حضر عندنا باكرًا جداً اثنان من قسوس البروتستان ومنعا بالالحاح الشديد سيدي عن عمل ذلك الاحتفال وطلبا اليه ان يدع ا وعروسه يشتركان عندهما

العالم ـ وهل قبل سيدك هذه الدعوة واجاب هذا الطلب

الخادم ـ لا ولكنه وعدهما بان يرد عليهما الجواب بعد ما يتروى في الا

العالم ـ وهل كان سيدك نبّه على احد من قسوسنا باقامة شعائر القدا على نية ان يتناول منه العريسان

الخادم ـ نعم وقد كان جرى هذا التنبيه على يدي

العالم ـ ألم يحضر عندكم ذلك القسيس بعد الفراغ من القداس ليسا عن الداعي الذي اوجب تأخر العريسين عن الحضور

الخادم ـ لم يحضر بعد

العالم ـ ان عدم اعتناء رعاتنا بخدمة الرعية اضر بالاغنام ومكن الذئا من النهب والخطف والقتل

الخادم ـ اني اذا قلت لك اننا من مدة سنتين لم نر قسيساً دخل من فلا تظن اني ابالغ في القول

العالم ـ اذاً لا اب ذمة اي اعتراف لكم

الخادم ـ لا افهم ماذا تعني بهذا القول

العالم ـ ألست قبطياً ارثوذكسياً

الخادم ـ بلى فاني كذلك

العالم ـ فاذاً لماذا لم تفهم قولي الذي اعني به ان الانسان بما انه معرض للسقوط في الخطايا والوقوع في الاثام فهو محتاج الى كاهن شرعي يتوب على يديه ويرتشد منه الى طريق الخلاص

الخادم ـ انا يامولاي خاطيء ولست اعلم بماذا انجو من خطيئتي ارجوك ان تتكرم علي بانارة ذهني وتعريفي الوسيلة التي بها اخلص من توبيخ ضميري ونخزاته المؤلمة

المعلم · الوسيلة سهلة جداً يا ولدي وهي التوبة فاذا قمت بواجبها حق القيام فترتاح من الآمك وجع نفسك

الخادم ـ ما هو واجب التوبة

المعلم ـ واجبها الندامة والاعتراف للكاهن والطاعة لهُ

الخادم ـ شكر الله فضلك ساذهب الى الكاهن واقر لهُ بخطاياي واتوب على يده

قال الراوي فالتفت المعلم الى المؤمن وقال لهُ أترى من اللائق ان تتخذ الاحتياطات لتمنع سيد هذا الخادم من ان يتمكن من جذبه البروتستانت فان عائلته كبيرة واقاربه ومعارفه كثيرون ويخشى اذا تملقه هؤلاء القوم وخدعوه وجذبوه اليهم وجعلوه عضواً من جسم هيئتهم ان يستميل معه الجميع فالواجب ان لا ندع هذا الخرق يتسع

المؤمن ـ لا توجد وسيلة اصلح من اننا نستدعي اثنين من قسوسنا ونكلفهما بهذه الخدمة

الخادم ـ لاتعانيا التعب باطلاً وتقاسيا المشقة على غير فائدة فان سيدي يكره قسوسنا اشد الكره ولا يقبل لهم رائحة ولا يطيق ان يسمع اسمهم وهذا هو السبب الوحيد الذي جعلهم يتاخرون عن التردد عندنا كل هذه المدة

المؤمن – هذا الكره صار طبيعياً في اغلب افراد طائفتنا فانهم يكرهون الأكليروس كرهاً شديداً ولا ارى لهذا الكره محلاً من الصواب

العالم ـ لا اخالك تجهل السبب الذي ادى الى هذه البغضة أليس هو جهل الاكليروس وعدم معرفته بواجبات الدين فان اكليروسنا لا يعد شيئاً بالقياس الى اكليروس الطوائف المسيحية

المؤمن – بلى لا انكر هذا السبب ولكن ما الفائدة التي تعود علينا او عليهم اذا بغضناهم واحتقرناهم واظهرنا لهم الكراهة الشديدة ألسنا اذا فعلنا ذلك نحط بقدرنا وقدرهم امام الناس ونضرُّ بانفسنا ونضربهم ايضاً أفتظن انهم بمجرد بغضنا لهم ينشطون من عقال جهلهم ويسعون وراء العلم ويدركونه · واما اكليروس الطوائف فلا انكر انهم على جانب عظيم من العلم كما اني لا انكر انه يوجد عندهم اسباب اخرى تستحق الكراهة ومع ذلك فلا نرى احداً من مرؤوسيهم يشنيهم ويظهر لهم اقل كراهة فان المرؤوسين من الطوائف يرون ان احتقار الاكليروس والرؤساء دليل على عدم التمدن والانسانية وعلى انحطاط الناس في امور دينهم وجهلهم لواجباتهم وانا ارى هذا الرأي ايضاً فاني اجد جميع الذين لا يعتبرون القسوس منا عديمي الذمة والدين وقليلي الحشمة والوقار · وقلت ان كراهتنا لقسوسنا يدل على جهلنا لواجباتنا لان الانسان اذا قصد ان يعمل عملاً ينبغي ان يتوقع الفائدة التي تعود عليه من ذلك العمل والحال ان لا فائدة تنتظر من الكراهة للقسوس بل بالعكس فان المضرة من

الكراهة تصيب الكاره والمكروه معاً . واما اذا اعتبرنا اكليروسنا فنحملهم على النشاط والاجتهاد ونرغّب اليهم العلم ونجعل لهم ولنا مقاماً ومنزلة عند الناس فيحترموننا ويعظموننا ويظهرون لنا التجلة والاكرام

العالم — كل هذه المبادىء صالحة ومقبولة لدي فاننا نحن معشر الشعب مقصرون بواجباتنا من نحو ائمة ديننا . ليصلح الله احوالنا . فاذاً ارني ما هي الطريقة التي تؤدي الى احباط مسعى البروتستانت

المؤمن — انت اجل مما اريك يا مولاي الطريقة التي تؤدي الى ذلك وانما على سبيل التنبيه اقول انه ينبغي لي ولك ايضاً ان نستصحب واحداً او اثنين من كهنتنا ونذهب معاً الى اب العريس ونجتهد في ان نقنعه ان يشرك ابنه في السرائر المقدسة عندنا

المعلم — هذه طريقة صالحة . اذاً نسير فيها

قال الراوي فانقطع الحديث بهذا الشأن واخذ كل منهم كتاباً يقرأ فيه ولما رأيت اني لا اقدر ان اتمكن اثناء هذه الزيارة من قضاء حاجتي لكون اوان الظهر قرب استأذنت من العالم لانطلق فدعاني ان ازوره دفعة اخرى فشكرت عنايته وتوجهت مع الخادم الى المنزل حيث تناولت طعام الغداء واخذت دفتري وشرعت ارقم فيه ما اتذكره من امر العالم مع الخادم والمؤمن وبقيت اشتغل الى المساء الى حين بدأ الناس يجيئون على سبيل عادتهم ثم جاء المؤمن والمرتاب وقال احدهما للآخر

المرتاب — كدت تقنعني البارحة بكثرة كلامك ياصديقي باعتقادك بالعشاء الرباني ولكن لما تأملت في جعجعة رحاك حق التأمل لم ارلها طحناً البتة فايقنت حق اليقين ان هذا الاعتقاد لم يتمسك به احد قبلك وقبل اصحابك الا في

الاجيال المتأخرة التي فيها اظلمت عقول الناس واتبعوا الخرافات وتركوا الحقائق

المؤمن — انك لم تصدق بهذا الادعاء فان المسيحيين اعتقدوا في كل زمان اعتقادنا . فهل قرأت رسالة اغناطيوس لاهل روميه التي قال فيها (ان الخبز الذي اريده هو جسد يسوع المسيح المسجود لهُ والخمر الذي اشتهيه هو دمه الزكي هو الخمر السموي الذي يضرم في القلوب ناراً حية خالدة لمحبته التي لا تفسد . (الخريدة قرن ا وجه ١١٦) وهل قرأت رسالته لاهل (ازمير ٧) التي قال محاجاً الهراطقة فيها (انهم يتعدون عن الافخارستيا والصلوة لعدم اعترافهم بان الافخارستيا هي جسد مخلصنا يسوع المسيح الذي تألم لاجلنا والذي اقامه الآب بصلاحه) وهل وقفت على رسالة هذا القديس لاهل فيلادلفيا (ف ٤ والى مغنيسيا ف ٨ والى افسس ف ٥) التي يقول فيها (ان جسد الرب يسوع واحد ودمه المهرق عنا واحد خبز واحد كسر وكاس واحدة وزعت للجميع ومذبح واحد لكل الكنيسة) وهل قرأت احتجاج يوستينوس الفيلسوف والشهيد (١ : ١٦) الذي قال فيه عن الخبز والخمر (لاننا لا نتناولها بمثابة خبز عادي ولا بمثابة مشرب عادي لكن كما ان كلمة الله لما تجسد يسوع المسيح مخلصنا قد اتخذ لاجل خلاصنا لحماً ودماً هكذا تعلمنا ان الذي ذكر عليه دعاء كلامه وبه يغتذي دمنا ولحمنا بحسب الاستحالة هو لحم ودم ذلك المتجسد) وخطابه لتريفن الذي قال فيه (نقدم باسمه ذبيحة قد امر الرب يسوع ان تقدم وذلك في شكل الخبز والكاس ذبيحة مقدمة من المسيحيين في كل مكان على الارض ذبيحة طاهرة ومرضية لله) وهل طالعت خطاب ايريناوس ضد الهراطقة الذي قال فيه (ان المسيح علّمنا ذبيحة جديدة للعهد الجديد فالكنيسة تسلمتها من الرسل وتقدمها في كل المسكونة بحسب نبوة احد الانبياء الاثني عشر حيث يقول لا ارادة لي بكم الخ (مل ١

: ١٠ و ١١) و ينادي بان الشعب الاول سيكف عن ان يقدم لله ذبائح وانه في كل مكان ستقدم ذبيحة لاسمه المجد في الامم) وقوله عن المراطقة (كيف يستطيعون ان يزكنوا ان الخبز الذي عليه تم الشكر هو جسد الرب وان هذه الكاس هي كاس دمه ما لم يفهموا انه هو ابن صانع العالم (٤ : ١٨) وقوله عنهم مثبتاً قيامة الاجساد (لو كانوا يتناولون الكاس وهي ممزوجة بالماء و يتناولون الخبز وهو ككلمة الله ذاته ولو كانت تصير لهم هكذا شركة الخبز والخمر شركة جسد المسيح ودمه اللذين يغذيان ويثبتان وجود جسدنا فكيف يستطيعون ان يقولوا ان هذا الجسد الذي يغتذي من جسد المسيح ودمه لايشترك بموهبة الله الذي هو الحيوة الابدية (٥ : ٢) وقوله(كما ان الخبز الارضي ببركة الله يكف عن ان يكون خبزاً بسيطاً لكنه يصير افخارستيا مؤلفة من خبز ارضي وسماوي هكذا اجسادنا ايضاً بعد ان تشترك بالافخارستيا ليست فاسدة بل لها رجاء القيامة (٤ : ٣٤) (الخريدة قرن ١ راس ٦ وجه ١٠١ و١٠٢) فهذه اقوال اباء الجيل الاول والثاني ولواردت ان اورد لك شهادات اباء الاجيال التي تلي هذين الجيلين لملأت لك الصحف الكثيرة وقد فاتني ان اسأل حضرتك عن محاورة روساء اصلاحكم المزعوم التي قصصتها لك البارحة وماذا استنتجت منها ورأي اي فريق استحسنت منهم وفضلته على غيره ولو سألتني انت هذا السؤال لاجبتك باني لم استنتج منها رأياً يحمد ويمكن الاعتضاد به والاعتماد عليه فاني ارفض راي مرتين لوثر واصحابه كما ارفض راي زونكليوس ونصرائه

المرتاب – انا اختار رأي زونكليوس على غيره وقد وقفت منه على عدة براهين لم يكن يخطر ببالي واحد منها فكأنك تناولني سيفاً وترساً ورمحاً اتقي بها هجماتك واقاتلك وانتصر عليك

المؤمن – لخص لنا من فضلك ما تعلمته من تلك المحاورة فاننا لم ننتفع منها بشيء كما تدعي انك انتفعت انت

المرتاب – استفدت من تلك المحاورة اموراً كثيرة منها ان الاضداد لا تجتمع فانه لا يمكن ان يحوي الشيء الواحد صفتين متباينتين والحال ان العشاء الرباني يحوي عندكم هاتين الصفتين فاننا حينما نراكم تزعمون انكم تتناولون جسد المسيح ودمه نراكم تتناولون خبزاً وخمراً بطعمها ورائحتها

المؤمن – ان هذه المضادة التي تنسبها الى السر الرباني انما هي عرضية لا جوهرية فان الخبز والخمر يستحيلان ذاتياً وجوهرياً الى جسد المسيح ودمه بنوع لا تستطيع الحواس ان تدركه مع بقاء طعم الخبز والخمر ورائحتهما على حالها . فلا تخل هذه المضادة الظاهرية بشرط السر ومنزلته واعتقادنا به فاننا نجد كثيراً من المعجزات التي صنعها الله تفوق اطوار عقولنا ومع ذلك فلا نرى فيها ما ينافي قدرة المولى واحكامه . فان نار اتون بابل حوت في آن واحد صفتين متناقضتين فانها كانت للثلاثة فتية ناراً باردة كبرودة الندى وكانت للبابليين ناراً محرقة (دا ٣ : ١٩ – ٢٣) فكيف استطاع الله ان يعطي هذه النار الحسية فعلين كل واحد منهما يخالف الآخر واذا كان الله قادراً ان يفعل ذلك فلم لا يكون قادراً ان يحوّل الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه ويبقي طعمهما ورائحتهما كما هما . وهكذا قل في كثير من معجزاته نظير آية اشباعه الخمسة الاف رجل من خمس خبزات وحوتين سمك وغير ذلك مما لا تستطيع عقولنا ان تدرك كيفية وقوعه

المرتاب – وقد استنتجت ايضاً ان الجسم لا يشغل حيزين فلا يمكن ان يكون في هذا المكان وفي غيره فاذاً كيف يصح لديكم ان يكون جسد المسيح

في السماء ويكون على الارض في عدة اماكن منها

المؤمن – نعم هذا هو حكم عقلنا القاصر ولكن ماذا تقول في قدرة الله التي لا تدرك . فان المسيح منح رسله هذا السر قائلاً عن الخبز (هذا هو جسدي) وعن الخمر (هذا هو دمي) وهو جالس يكلمهم والرسول قال اننا نشترك من جسد المسيح ومن دمه وهو جالس في السماء . على اننا لم نعدم من ادرك من الاباء قوة هذا الاعتراض ولم يتقاعس عن الرد عليه فقد قال يوحنا الذهبي الفم . (ألسنا نحن نقدم كل يوم قرابين نعم نقدم ولكننا نصنع تذكار موته وهذه الذبيحة التي كل يوم نقدمها هي واحدة لا اكثر لانه قدم مرة واحدة مثل الذبيحة التي كانت تقدم الى قدس القديسين وكما انه هو رسم لتلك هكذا هذه الذبيحة رسم لها لاننا دائماً نقدم حملاً واحداً نفسه ولا نقدم الآن خروفاً وغداً خروفاً آخر بل الحمل نفسه دائماً . فالذبيحة اذاً هي واحدة او هل المسحاء كثيرون لان الذبيحة تقدم في محلات كثيرة . حاشا لان المسيح واحد في كل مكان وهو هنا بكليته جسداً واحداً . وكما انه يقدم في اماكن متعددة ولا يزال جسداً واحداً لا اجساداً كثيرة هكذا الذبيحة ايضاً واحدة هي (على عب مقالة ١٦) ولو تروينا في المسألة قليلاً لوجدنا ان هذا الاعتراض يعترض به على اصحابك البروتستانت ياصديقي بوجه الاستقامة فانهم يزعمون انهم متى تناولوا هذا السر يكونون حقاً قد اكلوا جسد المسيح وشربوا دمه (راجع ما قاله المرتاب في وجه (٩٨) نقلاً عن مؤلفات البروتستانت وكتبهم) فاذا كان اصحابك صادقين في ما يقرون به من انهم يحصلون على جسد المسيح ودمه بواسطة تناولهم من العشاء الرباني ولا سبيل لهم الى انكار هذا الزعم فليفتونا عن الكيفية التي بها يحصلون على جسد المسيح حالة كونه محيزاً وشاغلاً لمكان واحد في السماء وهل صار

المسيح في هذه الحال عدة اجساد في اماكن مختلفة فبالحقيقة ليس لهم ان ينولوا الايمان اسرار الابن لا تفحص ولا تكيف ولا تقع تحت الحصر والكم والكيف

المرتاب – ثم استفتوت ايضاً انه لا يليق بنا ان ندعو هذا السر ذبيحة والمكان الذي يقدم فيه مذبحاً كما تفعلون انتم معشر الاقباط لان المسيح ذبح مرة واحدة

المؤمن – ان العشاء السري هو ذبيحة لانه جسد الفادي ودمه اللذان قدما على خشبة الصليب بدليل كون الخبز استحال الى الجسد والخمر استحال الى الدم وذلك قضية لازمة ما لم يثبت عدم تحويل المادتين عن طبيعتهما وعدا ذلك عندنا لاثبات ما ذكرته شهادة الانبياء الصريحة فان واحداً منهم وصف ذبيحة المسيح بقوله (ليست لي مسرة بكم قال رب الجنود ولا اقبل تقدمة من يدكم لانه من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم بين الامم وفي كل مكان يقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة لان اسمي عظيم بين الامم (مل ١ : ١٠)

المرتاب – ان هذه التقدمة التي يذكرها النبي هي تقدمة معنوية وهي عبارة عن الصلوة والصدقة (عب ١٣ : ١٥ و ١٦ ومز ٥٠ : ١٢ وهو ١٤ : ١) والارواح المنسحقة (مز ٥١ : ١٧)

المؤمن – ان النص يقضي على ان يكون هذا القربان جديداً لم يكن بنو اسرائيل يهتدون الى معرفته من قبل والحال ان القربان المعنوي الذي تذكره لي حضرتك كان بنو اسرائيل يعرفونه حق المعرفة ويؤديه اناس كثيرون منهم فلم يبق محل للريب في ان هذا القربان هو قربان المسيحيين

المرتاب – اذا لم يكن هذا القربان معنوياً فيكون هو قربان الصليب الذي وجد لنا المسيح به فداء ابدياً (عب ٩ : ١٢)

المؤمن – لا يمكن ان يكون القربان الذي اشار اليه النبي هو قربان الصليب لان من شأن هذا القربان ان يملأ الارض و يقدم في كل مكان والحال ان قربان الصليب لم يقرب في غير مكان واحد وهو الجلجلة ولا يمكن ان يكون نوعاً من قرابين اليهود لسببين وهما اولاً لانه ما كان مسموحاً لليهود ان يؤدوا فرائض عبادتهم خارجاً عن الهيكل الذي بناه لهم سليمان بن داود وبعيداً عن مدينة اورشليم (تث ١٢ : ٥ – ٧ و ١٣) وثانياً لان الله انذرهم في هذا النص وغيره بابطال ذبائحهم كلها (اش ١ : ١١ و ٦٦ : ٣) ولا يمكن ان يكون نوعاً من قرابين الامم والشعوب لانها دنسة ونجسة قدام الله فاذاً القربان الذي اخبر به النبي امته هو قربان جسد المسيح ودمه الذي يقدم في كل مكان

المرتاب – ان الرسول يشهد لنا على ان المسيح قدم ذاته عنا ذبيحة مرة واحدة (عب ٩ : ٢٥ و ٢٦) ولم يفتقر الى ان يقرب ذاته دفعة اخرى لما في الاولى من القدرة على غفران الخطايا في كل زمان

المؤمن – ان الذبيحة التي يقدمها المسيحيون هي الذبيحة التي قدمها المسيح بلا خلاف فان تلك وهذه هما جسد المسيح وقد حوت ذبيحة الصليب فعلين وهما اولاً انها كفّرت عن خطايا العالم ثانياً انها اوجبت الحيوة الدائمة لهم والحال ان العشاء السري حاز هذين الفعلين فان الذي يتناول منه ينال (١) الغفران من خطاياه (٢) الحيوة الدائمة . فقد قال المسيح (ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد وقال (والخبز الذي انا اعطي هو جسدي الذي ابذله من اجل حيوة العالم) وقال لرسله لما منحهم السر (خذوا كلوا هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم) وقال لهم لما اعطاهم الكاس (اشربوا منها كلكم لان هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من اجل كثيرين لمغفرة الخطايا) ثم ان انتفاء

الضد يوجب عكسه فالرسول المغبوط قد حكم بالذنب والدينونة على من يتناو من هذا السر بغير استحقاق فاذاً يلزم من ذلك ان من يتناول منه باستحقا ينال الغفران والتبرير والخلاص فاذاً لا فرق بين فعلي ذبيحة الصليب وفع العشاء السري وبالتالي فلا فرق بين ذاتيهما

المرتاب – لا يمكن ان يسمى العشا السري ذبيحة والمكان الذي تقدم ف مذبحاً الا بطريق الاستعارة والتشبيه

المؤمن – اما انك لا تقبل ان تدعو الافخارستيا ذبيحة الا بطر الاستعارة دلالة على انك تشكر الله به فلا تقدر ان تقيم على اثباته دليلاً ع ما قلته في غير هذا الوقت . واما انا فقد برهنت لك على ان العشاء الر هو جسد المسيح ودمه وفي قدرتي ان ابرهن لك من تعليم الرسول اكثر من ذا

المرتاب – لا يوجد في كل اقوالك ادنى برهان يثبت دعواك فماذا تر ان تقول اكثر منه فاذا كنت تريد ان تشاغلنا بكثرة حديثك او تكرر ما ق فاعلم وكن على يقين انا لا نميل لك اذناً سامعة

المؤمن – اتعهد لك قدام هذا الجمع اني لا اشاغلك بحديثي ولا اكرر شيئاً مما قلته لك سابقاً . ألا تذكر اني قلت لك (في وجه ٨٧) ان المـ لا تصح الا بين موضوعين وجوديين وانها لا تصح بين ذي موضوع وجودي و موضوع لا وجودي لابتعاد الوجود عن اللاوجود وعدم وجود النسبة بينهما تقضي بالمقابلة بين امر وآخر

المرتاب – بلى اتذكر اني سمعت منك ما يقارب هذا المعنى فما الغاية تذكيري به الآن

المؤمن – الغاية منه ان اورد لك المقايسة التي ذكرها الرسول بين

قرب به الامم الى الشياطين وما يتقرب به المسيحيون الى الله والمقابلة التي قابل
ا مذبح المسيحيين بمذبح اليهود · فقد قال في الاولى (فماذا اقول أإن الوثن شيء
ان ما يذبح للوثن شيء بل ان الذي تذبحه الامم انما تذبحه للشياطين لا لله
لا اريد ان تكونوا شركاء الشياطين انكم لا تستطيعون ان تشربوا كاس الرب
كاس الشياطين ولا تستطيعون ان تشتركوا في مائدة الرب ومائدة الشياطين
اكو ١٠ : ١٨ – ٢١) فهذه المقابلة بين مائدة الشياطين التي هي مذبح الامم
مائدة الرب تقضي ان يكون المقصود بمائدة الرب مذبح المسيحيين وما يوكل
ليها ذبيحتهم كما تقضي ان يكون المقصود بمائدة الشياطين مذبح الامم وما يوكل
ليها ذبيحتهم والا لما كان يوجد محل لهذه المقابلة · وقال في الثانية (لا تساقوا
عاليم متنوعة وغريبة لانه حسن ان يثبت القلب بالنعمة لا باطعمة لم ينتفع بها
ذين تعاطوها · لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن ان ياكلوا منه (عب
١١ : ١٠) فقد قابل الرسول في هذا النص بين ما كان اليهود يقدمونه على
ذبحهم وبين ما يقدمه الآن المسيحيون على مذبحهم فكما ان مذبح اليهود كان
قيقياً وذبيحتهم كانت حقيقية فكذلك مذبح النصارى يقتضي على حسب
ذه المقابلة ان يكون حقيقياً وذبيحتهم حقيقية والا لما كان وجه للرسول ان
طابق ما يختص بالنصارى على يختص باليهود ويظهر الفرق بين كل منهما
قد بقي ان اورد لك في هذه الليلة نبوة اشعياء العظيم في الانبياء وهي (في ذلك
اليوم يكون مذبح للرب في وسط ارض مصر ··· فيعرف الرب في مصر ويعرف
لمصريون الرب في ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة (اش ١٩ : ١٩ و ٢١)
بهذا المذبح وهذه الذبيحة هما مذبح وذبيحة المسيحيين ما لم تنف ذلك بان
ثبت ان المقصود بالمصريين في هذا النص هم اليهود وان الله اباح لليهود ان

يؤدوا فروض عبادتهم ويقدموا ذبائحهم وقرابينهم ونذورهم خارجاً عن مدينة اورشليم او تثبت ان المصريين تهودوا وصاروا وقتاً من الاوقات يهوداً او ان الله اعتبر عبادة المصريين قبل مجيء المسيح وقبل ذبائحهم وقرابينهم التي كانوا يقربونها لاوثانهم واصنامهم

المرتاب – اذا لم يكن ما استفدته انا من وقوفي على محاورة رؤساء الاصلاح بشأن العشاء السري هو حقاً فماذا اذاً استفدته انت منها

المؤمن – لم استفد منها اقل شيء وقد قلت لك اني ارفض رأي مرتين لوثر كما ارفض رأي زونكليوس فان كلاً منهما لم يعتقد مستقيماً بالسر الرباني

المرتاب – علمت وجه رفضك لرأي زونكليوس ولكن لم اعلم وجه رفضك لرأي الآخر

المؤمن – ان وجه رفضي للرأي الآخر هو ان مرتين لوثر باعتقاده ان جسد المسيح ودمه يكونان في الخبز والخمر او معها او تحتها جدد اعتقاد اوطيخا المرطوقي لان لوثر باعتقاده هذا وقوله ان الجسد والدم في الخبز والخمر بمثابة الروح في الجسم والسيف في الغمد والروح القدس في الحمامة (وجه ١٠٤) اثبت استحالة جسد المسيح ودمه المادتين الى ما ليس بمادة كما كان يزعم ذلك الشقي ولا يمكن ان يتأتى ذلك ما لم يكن الجسد والدم استحالا في الخبز والخمر وداخلها ومعها وضمنها الى روح غير محسوسة

المسامرة الحادية عشرة في سر الكهنوت

قال الراوي فانتهت المسامرة عند آخر هذا القول وتوجه كل واحد الى بيته وفي اليوم التالي ذهبت قرب الظهر الى بيت العالم فقابلني بالترحاب

وذهب بي الى غرفة الاستقبال حيث وجدت المؤمن وبعض الشبان جالسين يقرأون ويطالعون في الكتب المقدسة فجلست كواحد منهم وتناولت كتاباً لاقرأ فيه وبعد برهة طويته ووضعته في مكانه والتفت نحو العالم وقلت له · انا في احتياج لا يستطيع احد ان يقضيه لي غيرك يا مولاي العالم فاجابني قائلاً قل ما هي حاجتك والله يساعدنا على قضائها فقلت له اني معتاد ان اسهر في المنزل الفلاني واستمع كل ما يحدث فيه من الكلام والاخذ والرد وقد جمعت منه مجموعة اخشى ان يكون وقع فيها شيء من الغلط والشطط وفي نيتي ان اقدمها لحضرتك لكي تصلح ما وقع فيها من الاغلاط أفلا تستجيب طلبتي هذه ويبقى لك عليَّ الفضل والاجر والصواب من الله فاجابني قائلاً اني مستعد ان افعل كل ما تريده وما صدقت ان سمعت هذا الجواب اللطيف حتى اخرجت المجموعة من جيبي وقدمتها لجنابه ففتحها واخذ يقلب فيها يميناً لشمال مدة ثم طواها وقال لي سأراها في غير هذا الوقت واصلح ما تحتاجه من التصليح وازيل منها ما لا اجد فيه فائدة واقوي حجتنا بقدر ما تصل اليه قدرتي وطاقتي ثم نادى لواحد من خدامه وامره ان يحضر طعام الغداء فحاولت ان اتوجه قبل الاكل فمنعني من ذلك ولما انتهى جميعنا من الاكل قال المؤمن للعالم ألا يحسن برأيك ان تذهب الآن الى الكنيسة لناخذ معنا احد الكهنة ونتوجه الى منزل (فلان) لنسترضيه ونصالحه ونجعل الكاهن اب ذمة لاهل بيته ومعرفاً لهم ونحبط بذلك مساعي البروتستانت فأجابه العالم الى هذا القول وقام كلاهما ليتوجها فتبعت اثرهما وما سرنا قليلاً حتى صادفنا كاهناً يتقدم بسرعة فامسكه العالم وسأله قائلاً الى اين تذهب مسرعاً · فاجاب قائلاً ان (فلاناً) القبطي الارثوذكسي توفي اليوم ونحن ذاهبون لنشيع جنازته فتأسفنا كثيراً عند سماع هذا الخبر لعلمنا ان الميت كان

على جانب عظيم من المنزلة والقوة والنفوذ والعلم يذنا وكان ضربة قاضية
البروتستانت وسرنا مع الكاهن ثم شيعنا الجنازة الى الكنيسة اولاً حيث
شماس رثاء موضوعه (النفس بعد الموت) كان له وقع عظيم في النفوس و
شديد في قلوب العالم وكان من ضمن الحاضرين في هذه الصلوة (فلان) ال
كنا عزمنا ان نتوجه الى منزله ونصلحه على الكاهن الذي التقينا به في الظ
فرأيته قد تأثر من سماع هذا الرثاء وكاد يبكي من شدة ما لحقه من ا
والكآبة لكنه خشي من رؤيا الناس له فخرج الى خارج الكنيسة وانتظر الى
صلوة الجنازة فسار مع الناس الى المقابر حيث واروا الميت التراب ورجعوا يعز
اهله في منزلهم · وكانت الشمس على وشك الغروب فقام العالم من مكانه و
فريضة التعزية واخذ الكاهن على جانب وبدأ يتكلم معه سراً ثم اشار الينا و
لينطلق مع القسيس فتبعناهما على الاثر وتوجهنا جميعاً الى منزل اقامتي ح
وجدنا الناس بكثرة منتظرين مجيء المؤمن والمرتاب فدعونا الخادم وامرناه
يكلف سيده بالحضور الى الغرفة ثم جلسنا ننتظر فيها ولم تمض مسافة ربع س
حتى وافى صاحب المنزل فبدأ الكاهن والعالم والمؤمن يعطون له النصائح
مسمع الجمهور لكي يمتنع عن اشراك ابنه وعروسه عند البروتستانت في الع
السري ويثبتون له ان البروتستانت لعدم وجود نظام الكهنوت الذي هو الاسا
والقسوس والشمامسة عندهم لا تعتبر جمعيتهم كنيسة ولا يصح للمسيحي ان يكون عض
فيها فخفق قلب المرتاب عند سماع هذا الكلام واجاب قائلاً بصوت منخفض

انه لا صحة لقولكم ان القسوس رتبة خاصة من الشعب ممتازون ع
بالمواهب الخارقة العادة المتصلة اليهم بواسطة سر الكهنوت (المرشد عدد ٦
لسنة ١٨٩٥) فاذاً ممكن ان يكون الانسان عضواً مسيحياً بين افراد لا ك

كهنوت عندهم فابتدأت المحاورة من ثم فان المؤمن انبرى للمرتاب عند جوابه هذا واجابه قائلاً

المؤمن ـ اني انكر المقدمة واكذب النتيجة اولاً لان السيد اختار فئة مخصوصة من المؤمنين (لو ٦ : ٣ و ١٠ : ١) وخصهم بما خص به من الاب من القوة والسلطان والقدرة وهي ان يعلموا الشعوب و يتمموا الاسرار المقدسة من تعميد وتقديس السرائر الالهية وغفران خطايا التائبين بقوله لهم (قد اعطيت كل سلطان في السماء والارض فاذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس (مت ٢٨ : ١٩) وقوله امضوا الى العالم اجمع ونادوا بالانجيل للخليقة كلها فمن امن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن (مر ١٦ : ١٥) وقوله عن السرائر المقدسة (اصنعوا هذا لذكري (لو ٢٢ : ١٩) وقوله عن حل التائبين من خطاياهم وغفرانها (كل ما ربطتموه على الارض يكون مربوطاً في السماء وكل ما حللتموه على الارض يكون محلولاً في السماء (مت ١٨ : ١٨) وقوله كما ارسلني الاب كذلك انا ارسلكم ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم خذوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن امسكتم خطاياه امسكت (يو ٢٠ : ٢٣) ثانياً وعد المسيح ان تدوم هذه الرتبة التي امتازت بمواهبه دون باقي مؤمنيه كل الايام والى منتهى الدهر والى الابد (مت ٢٨ : ٢٠ و يو ١٤ : ١٦)

المرتاب - ان هذه الرتبة التي خصها المسيح بمواهب منه دون باقي المؤمنين كانت قاصرة على الرسل انفسهم ولما توفي هؤلاء تساوى المسيحيون بنعم المسيح وصار الحق لكل منهم ان يتقدم الى الله بواسطة المسيح فقط بدون ان يتوقع واسطة اخرى من الناس (المرشد عـ ١١٦ لسنة ١٨٩٥)

المؤمن ـ ان دعواك بان المسيحيين تساووا بعد الرسل في مواهب المسيح

لا تنطبق على تعليم الكتاب البتة لاننا نقرأ فيه ان الرسل اختاروا بارشاد الروح كما اختارهم المسيح برنابا وشاول (اع ١٣ : ٢) وهذان رسما قسوساً لجملة من الكنائس (اع ١٤ : ٢٣) وامر بولس احد تلاميذه ان يقسم لكل كنيسة قسيساً (تي ١ : ٥) وحذر واحداً آخر واوصاه ان لا يعجل في قسمة القسوس (٢ تي ١ : ٦) وهكذا نجد ذكر هذه الرتبة المخصوصة في (اع ١٥ : ٦ و ٢٢ و ٢٠ : ١٧ و ٢٨) وفي (١ بط ٥ : ١) وفي (يع ٥ : ١٤)

المرتاب - ان هذا الفئة المذكورة لا يذكر الكتاب انها امتازت بشيء عن باقي افراد الشعب

المؤمن ـ اني قولك هذا بما نادى به بولس قائلاً لتلميذه (لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع ايدي المشيخة (١ تي ٤ : ١٤) وقوله له (فلهذا السبب اذكرك ان تضرم ايضاً موهبة الله التي فيك بوضع يدي لان الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح (٢ تي ١ : ٦ و ٧)

فيتحصل لنا مما ذكر اولاً انه لابد من وجود رتبة مخصوصة بين المسيحيين ثانياً ان هذه الرتبة تقام بالصوم والصلوة ووضع الايدي (اع ١٣ : ٣) ثالثاً ان الواحد ينال بواسطة ذلك موهبة خصوصية دون باقي الناس رابعاً ان هذه الرتبة ينالها الخلف من المسيحيين عن سلفهم

المرتاب ـ ان هذه الموهبة التي يحصل عليها الانسان هي موهبة التعليم فقط والحال ان كل فرد من المسيحيين يستطيع بواسطة جده واجتهاده ان يكون معلماً في الانجيل بغير ان يفتقر الى ان ينال هذه الوظيفة من رؤسائكم الذين احتكروها لانفسهم واذا كان الكهنوت محصوراً في التعليم فيكون كل واحد من المسيحيين قادراً ان يكون كاهناً

المؤمن – لا ينطبق مبدأك هذا يا صديقي العزيز على قول الرسول كيف يكرزون ان لم يرسلوا (رو ١٠: ١٥) وقوله (ولا يأخذ احد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون ايضاً (عب ٥: ٤)

المرتاب – ان المقصود بالوظيفة في قول الرسول كهنوت بني اسرائيل الذي كان قائماً بتقريب الذبائح والمحرقات والحال ان المسيح ابطل هذا الكهنوت واثبت عوضه كهنوت نفسه بتقديمه ذبيحة ذاته مرة واحدة (عب ٩: ١٢و٢٦) ولم يعد بعد ذلك يحتاج الحال الى كهنوت آخر

المؤمن – ان الكهنوت يقوم اولاً بتقريب الذبائح والتكفير عن خطايا الناس كما قال الرسول (لان كل رئيس كهنة مأخوذ من الناس يقام لاجل الناس في ما لله لكي يقدم قرابين وذبائح عن الخطايا (عب ٥: ١) ثانياً بالنظر في الاحكام وفصل المشاكل والمنازعات واعطاء لكل ذي حق حقه كما قال الله (اذا عسر عليك امر في القضاء بين دم ودم ودعوى ودعوى او بين ضربة وضربة من امور الخصومات في ابوابك فقم واصعد الى المكان الذي يختاره الرب الهك واذهب الى الكهنة اللاويين والى القاضي الذي يكون في تلك الايام واسأل فيخبرونك بامر القضاء ... والرجل الذي يعمل بطغيان فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ليخدم الرب الهك او للقاضي نقتل ذلك الرجل فتنزع الشر من اسرائيل (تث ١٧: ٨ – ١٢ و ١ اي ٢٣: ٤ و ٢ اي ١٩: ٨) ثالثاً بتعليم الشعب شريعة الله وحثهم على طاعته وعبادته كما قال النبي (كان عهدي معه (اي مع لاوي) للحيوة والسلام واعطيته اياها للتقوى ومن اسمي ارتاع هو شريعة الحق كانت في فيه واثم لم يوجد في شفتيه سلك معي في السلام والاستقامة وارجع كثيرين عن الاثم لان شفتي الكاهن تحفظان

معرفة ومن فمه يطلبون الشريعة لانه رسول رب الجنود (مل ٢: ٥ – ٧) والحال ان هذه الصفات التي تستلزمها وظيفة الكهنوت قد حازتها الرتبة التي ميزها المسيح من بين المسيحيين فقد حازت الصفة الاولى التي هي الكفارة عن اثم الشعب بواسطة تقريب الذبيحة التي تقدمها لاعلى طقس هرون وبنيه بل على طقس ملكيصادق فان المسيح قدم ذبيحته ليلة الآمه على نسق هذا الكاهن كما شهد عنه النبي قائلاً (انت الكاهن الى الابد على ترتيب ملكيصادق (مز ١١٠: ٤) ولكيما نعلم ترتيب هذا الكاهن ما هو اقص لك ما ورد عنه في سفر الخليقة حيث قيل (وملكيصادق ملك ساليم اخرج خبزاً وخمراً لانه كان كاهناً لله العلي وباركه (ابرام) وقال مبارك ابرام من الله العلي مالك السموات والارض ومبارك الله الذي اسلم اعداءك في يدك فاعطاه عشراً من كل شيء (تك ١٤: ١٨–٢٠) فترى ان ترتيب كهنوت هذا الكاهن كان قائماً بتقديم الخبز والخمر كما يستلزم النص ولا بد للمشبه الذي هو المسيح والمشبه به الذي هو ملكيصادق من علاقة او نسبة تجعل الواحد شبيهاً بالآخر في نفس الكهنوت او في القربان الذي هو موضوع الكهنوت والحال ان هذه النسبة موجودة بينهما في الامرين فموجودة في الكهنوت لان المسيح نال كهنوته من الله بدون واسطة كما قال الرسول (كذلك المسيح ايضاً لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذي قال له انت ابني انا اليوم ولدتك (عب ٥: ٥) وملكيصادق نال كهنوته من الله بدون واسطة واما هرون فلم ينل ذلك بدون واسطة (لا ٨) ولهذا لا نسبة بين كهنوته وكهنوت المسيح لان ذاك ناقص وهذا كامل. كما قال الرسول. (فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال اذ الشعب اخذ الناموس عليه ماذا كانت الحاجة بعد الى ان يقوم كاهن آخر على رتبة ملكيصادق ولا يقال على رتبة هرون (عب

٨ : ١١) وموجودة في القربان ايضاً لان كل من المشبه والمشبه به قدم خبزاً وخمراً وان اختلف المسيح بقربانه في الذات لانه جسده ودمه فوجه الاتفاق موجود في العرض ولم يكتفِ المسيح بان يبارك الخبز والخمر ويقدمها ذبيحة على نسق ترتيب ذلك الكاهن بل امر التلاميذ ان يفعلوا كما فعل بقوله لهم (اصنعوا هذا لذكري) ليثبت بذلك دوام كهنوته على حد قول النبي (انت الكاهن الى الابد)

المرتاب ـ ان الكهنوت عبارة عن رمز ينتهي بظهور المرموز اليه كما قال الرسول – لان الناموس اذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الاشياء لا يقدر ابداً بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام ان يكمل الذين يتقدمون (عب ١٠ : ١) وحيث ان هذا الرمز تم بظهور المسيح الذي هو الكاهن الحقيقي فلم تعد الحاجة ماسة الى استعمال ذلك الرمز الذي هو الكهنوت (المرشد عدد ١١٦ لسنة ١٨٩٥)

المؤمن ـ انا محتار في امرك يا صديقي فاني لا اقدر ان اقف لك على مبداء واحد . تقول ان الكهنوت سواء كان كهنوت هرون او ملكيصادق هو رمز لا حقيقة وظل لا ذات وان هذا الرمز او الظل يبطل بمجرد ظهور المرموز اليه او الذات حسناً ولكن لماذا تقول ايضاً (في وجه ٩٤) ان العشاء السري هو رمز وصورة وظل جسد المسيح ودمه واذا كان على حد قولك ان السر الرباني رمز الى المسيح فلماذا لا يكون الاناس الذين يخدمون هذا الرمز كهنة كما كان هرون وملكيصادق كاهنين يرمز كل واحد منهما بذبيحته الى المسيح فالاول كان يرمز الى المسيح حالة كونه ذبيحة معلقة على خشبة الصليب والثاني كان يرمز اليه حالة كونه في علية صهيون يقدم لرسله جسده ودمه تحت

اعراض الخبز والخمر .

المرتاب ـ ان الكاهن ليس عبارة عن كونه يخدم رمزاً بل انه يكون وسيطاً بين الله والشعب والحال ان هذه الواسطة لا محل لها في العهد الجديد لانه صار لكل واحد حق القدوم الى الله بدون وسيط آخر غير المسيح وصار كل واحد بهذا الامر كاهناً (رؤ ١ : ٦ و ٦ : ١٠)

المؤمن – لا اريد ان افاوضك في كيف يكون كل واحد من المسيحيين كاهناً قبل ان اتم حديثي فاني اظن انك تريد ان تشغلني عن ذلك فاصغ من فضلك الى آخر قولي ولا تعترضني في اثنائه – ثم ان الرتبة التي ميز افرادها المسيح عن سواهم قد حازت الصفة الثانية من صفات الكهنوت وهي الفصل في الدعاوي وحل المشاكل وقطع المنازعات كما قال الرسول (أيتجاسر منكم احد له دعوى على آخر ان يحاكم عند الظالمين وليس عند القديسين ألستم تعلمون ان القديسين سيدينون العالم فان كان العالم يدان بكم أفأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى ألستم تعلمون اننا سندين ملائكة فبالاولى امور هذه الحيوة فان كان لكم محاكم في امور هذه الحيوة فاجلسوا المحتقرين في الكنيسة قضاة (١ كو ٦ : ١ – ٤) ولم يكتف المسيح بان يمنحهم هذه الصفة التي منحها ابوه لكهنته في العهد القديم بل انه اعطاهم زيادة على ذلك ان يحكموا على الضمير وان يغفروا الخطايا ويمسكوها ويربطوا بسلطان الروح من يستحق الربط ويحلوا من يستحق الحل (مت ١٨ : ١٨ ويو ٢٠ : ٢٣) ويسلموا المرتكب الى الشيطان (١ كو ٥ : ٥) ويفرزوا مذيع الفتن ومسبب الشرور (٢ تس ٣ : ٦ و ١ كو ٥ : ١١) وقد حازت هذه الرتبة الصفة الثالثة بتوصية المسيح لرسله (فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به) (مت

٢٨ : ١٩ و ٢٠) فاذاً الكهنوت عند المسيحيين هو حقيقي لانه جمع صفات الكهنوت الموسوي واعظم منها · وهل تريد ان اورد لك بعض ما تنبأ به الانبياء عن هذه الرتبة الكهنوتية

المرتاب – قل ما بدالك · فاني متيقن ان اسم الكاهن لم يطلق على احد من رجال العهد الجديد (المرشد عدد ١١٦)

المؤمن – قال اشعياء النبي في نبوته عن الامم (واتخذ ايضاً منهم كهنة ولاويين قال الرب (٦٦ : ٢١) وقال ايضاً وهو يشير الى خدام الانجيل (اما انتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام الهنا تاكلون ثروة الامم وعلى مجدهم تتأمرون (٦١ : ٦) وقال ارمياء (لا ينقطع للكهنة اللاويين انسان امامي يصعد محرقة ويحرق تقدمة ويهيء ذبيحة كل الايام (٣٣ : ١٨) وقال المرتل هذه هي راحتي الى الابد ههنا اسكن لاني اشتهيتها طعامها اباركه بركة مساكينها اشبع خبزاً كهنتها البس خلاصاً واتقياؤها يهتفون هتافاً (مز ١٣٢ : ١٤ – ١٦) وقال ملاخي خاتم الانبياء عن عمل المسيح في كنيسته (ويأتي بغتة الى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به هوذا يأتي قال رب الجنود ومن يحتمل يوم مجيئه ومن يثبت عند ظهوره لانه مثل نار الممحص ومثل اشنان القصار فيجلس ممحصاً ومنقياً للفضة فينقي بني لاوي ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر (٣ : ١ – ٣)

واما قولك ان اسم الكاهن لم يطلق على احد من رجال المسيحيين فهو باطل فان الرسول اطلق على نفسه اسم الكاهن بقوله (لاكون خادماً للمسيح يسوع في الامم واباشر خدمة الله الكهنوتية حتى يكون قربان الامم مقبولاً ومقدساً بالروح القدس (رو ١٥ : ١٦)

المرتاب – لا اعتبر الترجمة التي نقلت عنها هذا النص فانها ترجمة اليسوعيين وانا لا اعتبر خلاف الترجمة البيروتية

المؤمن – اتل النص المذكور على حسب الترجمة التي تختارها

المرتاب – هاك هو – (حتى اكون خادماً ليسوع المسيح لاجل الامم مباشراً لانجيل الله ككاهن ليكون قربان الامم مقبولاً مقدساً بالروح القدس)

المؤمن – لست اجد فرقاً كبيراً بين كلتا الترجمتين واذا كنت تظن ان (الكاف) في قول الرسول (ككاهن) تنفي الكهنوت عن الرسول · فانا لا اظن ذلك بل بالعكس فان هذه (الكاف) زائدة اعتاد الرسول على استعمالها ومن ذلك قوله (هكذا فليحسبنا الانسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله (١ كو ٤ : ١)

المرتاب – ان الانجيل اكثر استعمال اسم الشيخ او القسيس دون الكاهن وهذا دليل على وجود الفرق بين عمل كل من الاسمين

المؤمن – لو وجد الفرق الذي تظنه لما وجد سبيل ليوحنا ان يدعو الكهنة الملويين شيوخاً او ينسب التكهين للشيوخ ألا تسلم ان التبخير صفة لازمة بالكهنة فقط

المرتاب – بلى اسلم بذلك

المؤمن – فاذا كان ذلك كذلك فكيف جاز للشيوخ الذين هم على حسب رأيك ليسوا كهنة ان يمارسوا وظيفة الكهنة فاننا نقرأ هكذا (ولما اخذ السفر خرت الاربعة الحيوانات والاربعة والعشرون شيخاً امام الخروف ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين (رؤ ٥ : ٨)

المرتاب – ينسب ذلك للشيوخ دلالة على ان كل واحد من افراد الشعب

كاهن كما قال الرسول (واما انتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي امة مقدسة (١بط ٢ : ٩)

المؤمن – هذا النص اقتبسه الرسول من قول الله لليهود في العهد القديم (وانتم تكونون لي مملكة كهنة وامة مقدسة (خر ١٩ : ٦) فهل تسلم بان كل واحد من بني اسرائيل كان كاهناً نظير هرون وبنيه

المرتاب – لست اسلم بذلك لعلمي ان الذين تجاسروا بدون مسوغ الكهنوت وصفته على تقريب الذبائح نالوا جزاءهم من الله (عد ١٦ : ٣٠-٣٥ وصم ١٣ : ٩ – ١٤ و٢ اي ٢٦ : ١٩ – ٢١) وانما اعني بذلك ان كل واحد من اليهود كان له الحق ان يعبد الله ويقترب منه بالصلوة وعمل الخير والاحسان فان هذه ذبائح وقرابين مقبولة عند الله (عب ١٣ : ١٥ و١٦)

المؤمن – فاذاً لماذا لا يكون المسيحيون كهنة على هذا المعنى بحيث لا ينفي كهنوتهم المعنوي هذا كهنوت الرتبة الخصوصية منهم كما لم ينف كهنوت بني اسرائيل المعنوي كهنوت هرون وبنيه · ويبقى لنا الحق حين قلنا ان البروتستانت لا يصح ان يلقبوا باسم الكنيسة لعدم وجود الرتبة الخصوصية عندهم التي اقامها المسيح ونظمها في كنيسته وحصر فيها كل مواهبه ومنحه وعطاياه لتتوزع منها وبها على سائر الشعب المسيحي واذا كنت يا صديقي لا تقتنع بما سبقت واوردته لك من تعليم المسيح ورسله فاصبر قليلاً لآتيك بما وقفت عليه من اقوال بعض الآباء المتخلفين عن الرسل انفسهم

المرتاب – قل ما شئت

المؤمن – قال اغناطيوس في رسالته الى الترالبين (عدد ٣) (بدون الاساقفة والقسوس والشمامسة ليست كنيسة وقد اقتنعتم بذلك مثلي) وقال

ترتوليانوس بدون الاسقف ليست كنيسة (ضد ماركيون ٤ : ٥) وقال كبريانوس ان الشعب المتحد مع الكاهن والقطيع الخاضع لراعيه يشخص الكنيسة ولهذا يجب ان تعلموا ان الاسقف بالكنيسة والكنيسة بالاسقف ومن لم يكن مشتركاً مع الاسقف ليس في الكنيسة البتة (رسالة ٦٩ : ٨) وقال باسيليوس (اما الذين خرجوا عن الكنيسة فلن ينالوا بعد ذلك نعمة الروح القدس لان منح النعمة قد زال لانقطاع الخلافة لان الذين خرجوا اولاً كانوا قد نالوا الشرطونيات من الاباء وبوضع ايديهم حصلوا على الموهبة الروحانية (قانون ١)

المرتاب – سأفاوض ابن عمي بهذه الاقوال واجيء اليك بالقول المفيد الليلة التالية

﴿ المسامرة الثانية عشرة في سر التوبة ﴾

قال الراوي فانتهت السهرة عند اخر هذا القول وقفل باب الحديث والكلام وذهب كل واحد الى بيته ما عدا الكاهن والعالم والمؤمن فانهم انتظروا الى ان يتموا كلامهم مع صاحب المنزل و يأخذوا قول شرف على قبوله الاشتراك في عضوية الكنيسة فقبل نصيحتهم ووعدهم بانه يفعل كما يريدون وهكذا انطلقوا مسرورين بنجاح مسعاهم اما انا فبقيت انتظر قدوم الخادم فتأخر وقتاً طويلاً ولم اعلم سبب تأخره فمللت الاقامة وحدي وضجرت من الانتظار فطلبت العشاء وتعشيت ونمت ولما جاءني في النهار استخبرت منه عن سبب غيابه البارحة فاخبرني انه كان مسافراً في البلاد المجاورة لاسيوط يدعو الاهل والاقارب والمعارف الى العرس فسررت لهذا النبإ وقلت اذاً لا بد ان يكون

فرحكم عظيم الاهمية نظرًا لحضور الناس الكثيرين فيه . ثم خرجت قاصدًا ان ازور العالم واسأله عن المجموعة التي قدمتها له ليطلع عليها ويرى رأيه فيها . ومن سوء الطالع ضللت عن الطريق ولم اعرف ان اهتدي الى منزله فتوجهت الى الكنيسة وطلبت الى احد الخدامين ان يهديني فأبى في اول الامر ولكنه رضي اخيرًا بسبب الحاحي عليه وسار قدامي وانا امشي من ورائه الى ان وصلنا منزل العالم فشكرت فضل الخادم وصرفته وتوجهت الى المكان الذي الف العالم الجلوس فيه اثناء النهار فوجدته مكبًا على العمل والشغل ومنهمكًا في مهام كبرى فلم اشأ ان اعيقه عنها فجلست بحيث لم اجعله ان يشعر بجلوسي وبعد برهة رفع رأسه فاستغرب حين رآني ثم انقطع عن عمله وبدأ يرحب بي ويشكر تعبي في كتابة المجموعة ويثني على حسن ظني به . فسألته عما اذا كان وجد فيها شيئًا يخل بمذهبنا القويم . فقال لي انه لم يجد شيئًا ما عدا بعض امور طفيفة اشر عليها بالحبر الاحمر فرغبت ان استلها منه فمنعني قائلًا انه يريد ان يعيد نظرًا آخر عليها فمدحت همته وحمدت فضله وانطلقت من عنده مسرورًا ولما وصلت المنزل وجدته غاصًا بكثرة المدعوين ووجدت جماعة من مصر فاقتربت من احدهم فحالما رآني عرفني وسلم علي فبدأت استفهم منه عن احوال مصر وامورها فاجابني قائلًا ماذا تهمك امور مصر واهل منزلك يتضورون جوعًا واولادك خرجوا من المدرسة لعدم وجود المصاريف لها وحالهم يرثى لها فانزعجت عند سماع هذا الخبر واحترت في امري وغبت عن الصواب وقتًا كبيرًا ثم انتبهت وجعلت اتبصر في ماذا افعل وصرت اتردد بين امرين وهما السفر الى مصر على عجلة او الانتظار مدة العرس فاخترت منهما الاخير وتناولت ورقة وكتبت الى احد اصحابي مكلفًا اياه ان ينفق على اهل بيتي

ويدفع لهم من المصاريف ما يحتاجونه مسافة اسبوع واحد على الاقل ثم طويت الخطاب وارسلته في البوستة وخرجت الى ضواحي المدينة مؤملًا ان افرج بذلك كربي ولم اعد الى اوان المساء وفي حين رجوعي وجدت القسيس والعالم والمؤمن والمرتاب وجماعة كبيرة من البروتستانت مجتمعين وهم يتحاورون بشدة على خلاف العادة المألوفة فملت الى واحد من القاعدين وسألته عن السبب الذي ادى بهم الى هذه المجادلة العنيفة فقال لي ان هذا القسيس الذي تراه هو سبب ذلك فانه حالما جاء طلب صاحب المنزل وقال له انك وعدتنا بالرجوع الى الكنيسة والاشتراك في عضويتها فيلزمك ان تتوب فاجابه قائلًا اني ندمت على ما فعلت وانا تائب من كل قلبي فقال له ان التوبة يشترط لها الاعتراف بكل ما صنعته من الآثام والخطايا امام الكاهن لتنال منه غفرانها بموهبة الروح القدس . فلما سمع ذلك احد البروتستانت صاح قائلًا انك تجدف ايها القسيس فان الاعتراف لا يجوز لغير الله ولا يقدر ان يغفر الخطايا احد سواه فلم يطق الاقباط ان يعترض البروتستانتي على كلام قسيسهم فعارضوه بالكلام فأخذت نيران الجدال من ثم بالاشتعال

قال الراوي فالتفت نحو القوم واصغيت لحديثهم فسمعت احدهم يقول

المرتاب — من يستطيع ان يغفر الخطايا ويحلها ويربطها ويمسكها الا ذلك (الذي له مفتاح داود الذي يفتح ولا احد يغلق ويغلق ولا احد يفتح (رؤ ٣ : ٧)

المؤمن — لا يقدر احد ان يغلق او يقفل بدون سلطان الكهنوت مسلم لا يقدر ان يفعل ذلك بهذا السلطان الالهي الممنوح من ذلك الذي بيده مفاتيح بيت داود فمنكر فان المسيح اعطى هذه المفاتيح لرسله ليفتحوا ويغلقوا بقوله لهم (كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطًا في السماء وكل ما تحلونه على الارض يكون

محلولاً في السماء (مت ١٨ : ١٨) وقوله كما ارسلني الاب ارسلكم انا ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن امسكتم خطاياه امسكت (يو ٢٠ : ٢١ و٢٢)

المرتاب – ان المراد بالحل والغفران في قول المسيح لرسله (ما تحلونه ومن غفرتم) الانذار بالانجيل اي من انذرتموه بالانجيل وامن بكلامكم نال الحل والغفران

المؤمن – هذا التفسير عار عن الحقيقة ومنزه عن الصواب ولا يخلو من التعسف الكثير اولاً لان المسيح نطق بالآية الاولى وفاه بها في مقام الكلام على الاحكام والقضايا والدعاوي والمنازعات وكيفية الحكم فيها ثانياً اذا كان المراد بالحل والغفران الانذار على حسب رأي اصحابك فماذا يكون المراد بالربط والامساك ثالثاً انه لا نسبة بين الغفران والانذار تقتضي ان يدعى احدهما باسم الآخر فان الاسم الاول نتيجة طبيعية تستلزمها وظيفة القاضي او الحاكم واما الثاني فهو عمل رسول رابعاً ان المسيح صرح بذكر الانذار والكرازة والتبشير والوعظ والتعليم في اماكن كثيرة فما العلة في كونه ابهمه باسم الغفران . فانا لا ارى يا صديقي وجهاً للتحول عما يتبادر لفهمي من ظاهر هاتين الآيتين والبروتستانت لا يسعهم ان يأولوا الربط او الامساك للخطايا الى غير معناه وهو الفرز من الجماعة او القطع او التسليم الى الشيطان او الحرم وما اشبه ذلك كما يقضي به نظامهم فانهم قالوا في نظام الكنيسة الذي ألفوه في (همبرج) في كل يوم احد يجب ان يجتمع في مكان مناسب جميع الناس الذين هم في عدد القديسين لكي يرتبوا مع الاسقف حسب كلام الله كل مصالح الكنيسة ويقطعوا كل من اوجب سبباً للشك في الكنيسة لان كنيسة المسيح لم توجد قط من

دون مباشرة سلطان القطع (تاريخ الاصلاح جزء ٢ ف ٣) وقالوا في القرار الذي تلي امام الامبراطور كرلوس (ان سلطان المفاتيح او سلطان الاساقفة هو حسب كلام الرب ووصية الله ان يبشروا بالانجيل وان يتركوا او يمسكوا الخطايا وان يخدموا الاسرار وهذا السلطان انما يلاحظ فقط الخيرات الابدية (تاريخ الاصلاح جزء ٢ ف ٧)

المرتاب – اذاً تحسب سلطان الحل والربط سراً من اسرار الكنيسة ولكن من اين لك ان تثبت ان الاعتراف من مستلزمات هذا السر حالة كوني لا ارى في الكتاب المقدس اشارة له

المؤمن – انت لا ترى ذلك ولكن كيف رآه آباؤك رؤساء الاصلاح من قبلك واثبتوه واعتبروه شرعاً وناموساً لهم (لوثيروس في سبي بابل في كلامه على التوبة وصورة ايمان البروتستانت في اغوسطا وكلوينوس في الرسوم ك ٣ راس ٣ وراس ٤ : ٣ وتاريخ الاصلاح جزء ١٠ ف ٤ وقصة لوثيروس وجه ٥٨) فانك ياصديقي حين تفهم بالمعنى الحرفي قول المسيح لرسله (كل ما تربطونه يكون مربوطاً وكل ما تحلونه يكون محلولاً . ومن غفرتم له خطاياه تغفر له ومن امسكتموها له امسكت) يسهل عليك حينئذ ان تقتنع وتعلم ان سر التوبة بالاعتراف الشفاهي مؤسس من السيد نفسه فانك تقر معترفاً انه يلزم الكاهن الذي يربط الخطيئة (التي لا تستحق المغفرة لعدم توبة مرتكبيها او لعظمها) او يحلها يجب ان يعرف اولاً تلك الخطيئة . اما قولك انك لم تجد في الكتاب المقدس او في الاجيال الاولى من اثر لسر الاعتراف فهو لانك لم تقرأ الكتاب كما ينبغي ولم تقف على حوادث الكنيسة كما يجب

المرتاب – انا درست الكتاب المقدس على الاقل خمس مرات فضلاً

عما سمعته اثناء الاجتماعات من الفصول والشواهد والآيات

المؤمن – انك لا تستطيع ان تفهم معنى ما تقرأه بدون ان يرشدك احد العلماء الممنوح لهم السلطان على التعليم في الكتاب المقدس (لان الحرف يقتل ولكن الروح يحيي (٢ كو ٣ : ٦) ألم تسمع الرسول : بطرس ماذا قال عن رسائل مار بولس

المرتاب – بلى سمعت قوله وهو (كما في الرسائل كلها ايضاً متكلماً فيها عن هذه الامور التي فيها اشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب ايضاً لهلاك انفسهم (٢ بط ٣ : ١٦) أتظن اني لست بعالم

المؤمن – ان اقوالك تشف عن عدم العلم ولكن افرض انك عالم فانه غير مأذون لك ان تعلم او تكرز او تبشر او تعظ في الكتاب المقدس اذ لست حائزاً وظيفة شماس على الاقل

المرتاب ـ ماذا سمعت من اقوالي التي لا تنطبق على تعليم الكتاب حتى انك نسبتني الى الجهل

المؤمن ـ سمعت ادعاءك انك لم تجد اثراً لسر الاعتراف في الكتاب او تاريخ الاجيال الاولى المسيحية والشواهد منه على هذا السر لا تحصى

المرتاب ـ اورد لنا اذاً طرفاً منها لنعلم صدق حجتك وصحيح لهجتك

المؤمن ـ قال الله لموسى (واذا اخطأ احد وسمع صوت حلف وهو شاهد يبصر او يعرف فان لم يخبر به حمل ذنبه وقال ايضاً (اذا حلف احد مفترطاً بشفتيه للاساءة او للاحسان من جميع ما يفترط به الانسان في اليمين واخفي عنه ثم علم فهو مذنب في شيء من ذلك فان كان يذنب في شيء من هذه يقر بما قد اخطأ به (لا ٥ : ١ و ٤ و ٥) وقال ايضاً اذ عمل رجل او امرأة

شيئاً من جميع خطايا الانسان وخان خيانة بالرب فقد اذنبت تلك النفس فلتقر بخطيئتها التي عملت (عد ٥ : ٦ و ٧) اذاً الاعتراف كان يمارسه اليهود في العهد القديم وهو امر ممدوح وطريق يؤدي الى الخلاص كما قال الحكيم (من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقربها ويتركها يرحم (ام ٢٨ : ١٣) وصفة لازمة يفتقر اليها الجميع كما قال ايوب (ان كنت كتمت كالناس ذنبي لاخفاء اثمي في حضني (اي ٣١ : ٣٣)

المرتاب ـ لا ينتج من هذه النصوص ان اليهود كانوا يعترفون بخطاياهم للكهنة بل لله سبحانه وتعالى

المؤمن –ان الخاطيء منهم كان ملزوماً باعترافه للرب ان يخبر الكاهن ايضاً بخطيئته حين تقديمه له ذبيحة لكي يكفر عنه (لا ٥ : ٦) ويقنعك بذلك اكثر ما كان يفعله اليهود حين كانوا يعتمدون من يوحنا فانهم كانوا يعترفون بخطاياهم (مت ٣ : ٦) على ان العهد الجديد لم يدع شبهة في هذا الامر فانه فضلاً عن سلطان الحل والربط والغفران والامساك الذي منحه السيد لرسله الذي يستلزم اعتراف الخاطيء بخطاياه لينال غفرانها والحل منها او بالعكس فان الرسول قال (صلوة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه وان كان قد فعل خطيئة تغفر له اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات (يع ٥ : ١٥ و ١٦)

المرتاب – الغاية من قوله هنا (اعترفوا) اي اصطلحوا مع بعضكم بعض

المؤمن – لا تحتمل عبارة الرسول هذا التأويل ابداً اولاً لانه لم يوردها في مقام الكلام على الخصومات التي تحدث بين الشعب بل في مقام المرض وكيفية علاجه ثانياً لانه اوردها في سياق غفران خطيئة المريض بواسطة صلوة الكهنة فيلزم من ذلك امران الاول ان يكون هذا الاعتراف اعتراف حقيقي

بالخطايا الثاني ان يكون للكهنة الذين هم بعض الشعب لا لغيرهم وعدا ذلك ان كاتب الاعمال اخبرنا عن اهتمام المؤمنين الأُول بهذا السر واستعمالهم لهُ بالدقة فقد قال عنهم (وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بافعالهم وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها امام الجميع وحسبوا اثمانها فوجدوها خمسين الفاً من الفضة (اع ١٩: ١٨ و١٩) فاذاً لا معنى لقولك انك لم تجد اثراً في الكتاب المقدس لسر الاعتراف فها قد وجدنا نحن فيه عيناً بدل الاثر واذا كنت تأمرنا ان نورد لك شيئاً من تاريخ الكنيسة من هذا القبيل فنحن رهينو امرك

المرتاب ــ اورد لنا ماشئت ان تورده

المؤمن ــ ان ايريناوس ذكر (في ك ١ راس ٦ : ٣ ضد المراطقة) ان النساء اللواتي كنَّ سقطنَ في هرطقة «والنتينوس لما رجعن الى الكنيسة اعترفنَ بخطاياهنَّ بخلاف اللواتي لم يردن ان يدخلن في هذا الامتحان المقدس فانهن سقطن في اليأس وذكر في الكتاب المذكور «راس ١٣ : ٥» ان المرأة التي مكر بها مرقس الساحر بقيت مدة حياتها تعترف بالاثم الذي اقترفته مع ذلك الماكر ماحية بدموعها تلك الوصمة . وقال ترتوليانوس «في كتاب التوبة راس ١٠» ان كثيرين ينتبهون الى الخجل اكثر من الخلاص فيهربون من هذا الاعتراف سترة لهم او يأخرونه من يوم الى يوم كمن اصابه مرض في الاعضاء المستحي منها فاخفى على الاطبا مرضه فباد بخجله فاذا اخفينا نفوسنا عن معرفة الناس هل نخفيها عن الله وهل الاولى لنا ان نهلك وذنوبنا خفية من ان تحل وهي مكشوفة وقال «في مقالة ٢ على اللاويين» اذا لم يخجل الخاطئ من ان يبين خطيته لكاهن الرب ويستمد العلاج بحسب قوله قلت اعترف باثمي وانت

تغفر شر قلبي وقال «في مقالة ٣ على مز ٣٧ : ٦٦» من بقي فيهم الطعام غير مهضوم او ثقلت معدتهم بخلط او بلغم اذا تقايئوا استراحوا هكذا من الخطأة فان اخفوا الاثم فيهم تضايقوا داخلاً وخنقهم بلغم الخطية وخلطها فان شكى احد نفسه فشكايته واعترافه يتقايأ الاثم وتزول علة المرض كلها فلا خطر من يلزمك ان تعترف لهُ بخطيئتك وامتحن اولاً الطبيب الذي تعرض عليه مرضك . وقال «في مقالة ١٧ على لوقا» فاذا صنعنا هكذا وكشفنا خطايانا لا لله فقط بل لمن يمكنهم ايضاً ان يطببوا جراحنا وخطايانا فيمحي خطايانا من قال هوذا امحي كالسحاب آثامك وكالظلام خطاياك» عن الانوار ومواعظ الدلس

المرتاب ــ عرفنا ان الاقباط يستعملون سلطان حل الخطايا او غفرانها بواسطة الاعتراف الشفاهي ولكن متى يستعملون هذا السلطان لربط الخطايا او امساكها

المؤمن ــ يستعملون ذلك حين الاعتراف المذكور او حين الوقوف على الخطايا المصنوعة علناً

المرتاب – قد افسد الاقباط هذا السلطان واساءوا استعماله لامرين الاول منهما لان الرسول لا يستجيز الحرم او المنع او القطع او الفرز الا للذين احدثوا البدع كما قال «ان بشرناكم نحن او ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن اناثيما .. ان كان احد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن اناثيما (غل ١ : ٨ و ٩) فترى من ذلك ان الحرم لا يجوز الا لمن يحدث في الدين تعليماً غريباً والثاني لان اصحابك يحرمون وهم في حالة الغضب

المؤمن – اما قولك ان الحرم لا يجوز الا للذين يحدثون البدع فقط فهو باطل لان السيد لما منح رسله الغفران والحل والامساك والربط لم يعين انواع الخطايا التي يجب امساكها وربطها بل ذكر ذلك بوجه مطلق وبوجه عام بقوله

(كل ما تربطونه يكون مربوطاً ومن امسكتم خطاياه امسكت) ولذلك فان الرسول حرم الذي سقط في جريمة الاختلاط بالدم وفرض عليه قانوناً صارماً جداً بقوله قد حكمت باسم ربنا يسوع المسيح ان يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع (١ كو ٥ : ١ - ٥) فاذاً لا معنى لقولك ولا صحة لدعواك ان الحرم لا يجوز لمن لا يأتي ببدعة واما قولك ان الحرم لا يجوز في حال الغضب فهو باطل ايضاً وهو دليل على انك لا تعرف ما هي وكم هي قوى النفس

المرتاب - ما مرادك بقوى النفس

المؤمن - مرادي بذلك ان ابين ان الاحكام القضائية لا تحصل بدون تأثير الغضب على النفس

المرتاب - كيف يكون ذلك

المؤمن - اعلم ان قوى النفس ثلاث وهي القوة الناطقة والقوة الغضبية والقوة الشهوية وان كل واحدة من هذه القوى اما ان تكون في الانسان فضيلة او رذيلة فالاولى تكون فضيلة حين يكون الانسان عالماً حكيماً ورذيلة حين يكون بليداً او سفيهاً وجاهلاً والثانية تكون فضيلة حين يكون الانسان شجاعاً وحليماً ورذيلة حين يكون جباناً والثالثة تكون فضيلة حين يكون الانسان عفيفاً وكريماً ورذيلة حين يكون شرهاً وبنسبة هذه القوى الى بعضها بعض واعتدالها ينجم عنها فضيلة رابعة وهي العدل او الحكم العادل (اقرأ المقالة الاولى من كتاب تهذيب الاخلاق للشيخ احمد بن مسكويه)

المرتاب - كيف تكون نسبة هذه القوى الى بعضها بعض

المؤمن - ان القوة الناطقة تميز في الموضوع المستحضر من الذهن فاذا

كان رديئاً تهيج حالاً القوة الشهوية بالكراهة له والنفور منه ثم تحرك القوة الثالثة الغضبية فتأمر برفضه وابعاده وانا اضرب لك قياساً على ذا المسيح (وجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون بقراً وغنماً وحماماً والصيارف فصنع سوطاً من حبال وطرد الجميع من الهيكل الغنم والبقر وكب دراهم الصـ وقلب موائدهم (يو ٢ : ١٤ و١٥) فتراه له المجد لو لم يفطن اولاً في رداءة الاثم ثم يكرهه لما كان وجد سبيل الى ان يتهيج بالغضب ضد مرتكبيه و فاذاً لابد من تأثير الغضب على نفس الحاكم عند القضاء والحكم ومن بخلاف ذلك فهو جاهل لا محالة

المسامرة الثانية عشرة في سر الزيت والميرون

قال الراوي فسكت المرتاب ووعد انه سيرى رأيه ثم قال القسيس العريس ارجوك ان تنبه على افراد العائلة ان يستعدوا للقيام بسر الاعتراف سأحضر الغد بعد الظهر واقوم بواجب هذا السر من نحوك ومن نحـ المنزل جميعاً واجعل كل فرد مستأهلاً بواسطة ذلك الاشتراك بالاسرار قال ذلك وودع الجميع سلامه وخرج فتبعه العموم . اما انا فسررت جـ سماع هذه المحاورة رغماً عما عندي من الكرب الشديد لعلي ان الاقبـ مصر كانوا في وقت ما يتجادلون على الحروم فالبعض منهم كان ينفيها و يثبتها وانا كنت ممن يتردد بين صدقها وكذبها فاقتنعت بها عند ما سمعت المؤمن واخذت على نفسي الحذر منها ثم بدأت اشتغل في كتابة هذه ولم اكد اتم منها حتى احضرلي الطعام فأكلت وقت وقد ذهب من بالـ عيالي وضياع مالي بما كنت اعلل به نفسي من قصر المسافة من جهة و

على ختام هذه المحاورات من أخرى فاني كنت علمت من مصدر يوثق به ان صاحب المنزل سينبه من قبل ليلة عقد الاكليل بليلة على الاقباط والبروتستانت بعدم الأخذ والعطاء في المسائل الدينية خشية من وقوع امور تكدر المدعوين وتشغل اهل الفرح عن فرحهم · ثم انني عند ما قمت من رقاد النوم توجهت في الصباح الى منزل العالم قاصداً ان اخذ مجموعتي كيف ما اتفق الحال وقد كنت وضعت علامات في السكة فاهتديت بواسطتها حالاً الى ذلك المنزل فلما وصلت وسلمت على العالم قابلني مسروراً ولكنهُ لمح في وجهي علامات الكدر رغماً عن محاولتي لاخفائها عنه فقال لي اراك مشغول البال واخذ من ثم يعزيني ويقوي عزمي على احتمال مصائب هذه الدنيا ورزاياها واتعابها الكثيرة فكشفت لهُ عن عزمي على سرعة السفر الى القاهرة وطلبت اليه ان يسلمني المجموعة فلبى طلبي وقام حالاً الى دولاب الكتب واحضرها لي وبدأ يريني التصليحات التي اجراها فيها فشكرته على ذلك واستأذنت وانصرفت راجعاً الى منزل اقامتي حيث لبثتُ اتأمل في تلك التصليحات واماكنها واكرر قراءتها واعيد تلاوتها خوفاً من ضياعها عن بالي وبقيت على هذه الحال الى اوان الغداء فتغديت وبعد برهة حضر القسيس الى المنزل ودعا والد العريس اولاً فأخذ اعترافه ثم العريس ثم والدته وهكذا من واحد الى آخر ثم اخذ الخادم بيده وسار قاصداً منزل العروس ليأخذ اعترافها ثم عاد حين اجتمع الناس على جاري عادتهم في المساء ودعا صاحب المنزل وقال لهُ قد اتممنا سر التوبة واعترف الجميع امامنا ونالوا بقوة الروح القدس غفران الخطايا ولم يعودوا محتاجين بعد للتقرب من جسد المسيح ودمه الا امراً واحداً وهو ان ينالوا مسحة الزيت المقدسة التي تشفي الامراض الجسدية والنفسية معاً ولم يكد يسمع المرتاب

هذه العبارة حتى هز برأسه واومأ بعينيه واشار بايديه وقال لو كنت قلت ان مسحة الزيت تشفي الامراض الجسدية لكان ربما يوجد لقولك محل من الصحة بحيث يكون الزيت بمثابة علاج بسيط نظير علاجات الاطباء · فلما سمع القسيس ذلك اخرج كتاباً من جيبه وقرأ ما يأتي

قد ظن المرتابون ان المسح بالزيت كما ورد في (يع ٥ : ١٤) ليس هو سراً الهياً مؤسساً من المسيح واستدلوا على ذلك بان المسح بالزيت هو عادة قديمة كان يستعملها القدماء لمعالجة الامراض وان الرسول يعقوب لم يرد بعبارته خلاف ذلك · ولكن قد خاب ظنهم وطاش سهمهم فان تلك العبارة التي هي ((أمريض احد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلوة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه وان كان قد فعل خطيئة تغفر لهُ)) لا تحتمل هذا التأويل مطلقاً لاسباب منها (١) ان الرسول عين الاشخاص الذين يجب ان يتم على ايديهم هذا السر الاوهم الكهنة دون سواهم فلو لم يكن ذلك الزيت مسحة مقدسة وكان مسحة بسيطة لكان فوض لاهل المريض وذويه ومعارفه ان يستعملوه كما يستعملون باقي الادوية ولا يجعل ذلك موقوفاً على مجيء القسوس (٢) ان الرسول لم يعين مرضاً لهذا الزيت دون مرض آخر كما تقضي بذلك طبيعة الادوية فان لكل داء دواء مخصوص بل ذكر المرض مطلقاً فلو كان الرسول اراد بهذا الزيت ما يريده به المرتاب وذووه لذكر للشفاء به مرضاً مخصوصاً اذ ليس في قوة الزيت الطبيعية ان تشفي من كل داء ومرض لكنه لم يفعل ذلك بل قال ((أمريض احد بينكم)) يعني اي مريض كان (٣) ان الرسول ذكر في عبارته ملازمة الصلوة لهذا الزيت فلو لم يكن مسحة مقدسة تحل فيها قوة ودوهبة ونعمة تفوق القوة الطبيعية لما كان معنى لهذه الصلوة لان العبارة روحية

لا تفيد الزيت قوة طبيعية اذا لازمته ولا تعدمه ذلك اذا انفصلت عنه (٤)
ان الرسول خصص لهذا الزيت قوة وقدرة على ان يشفي النفس من امراضها اي ان يغفر الخطايا والحال ان الزيت مادة لا تستطيع ان تؤثر في النفس التي هي روحانية محض بخلاف الجسد الذي هو مادة محض على شكل الزيت (٥)
يتبين من عبارة الرسول انه ذكّر المؤمنين بعادة كانت مألوفة عندهم ومعروفة وحثهم على ان يستمروا على استعمالها بغير انقطاع وهذا دليل على ان مسحة الزيت سر مؤسس من المسيح نفسه لا من الرسل

قال الراوي فلما انتهى القسيس من قراءته نهض المؤمن وقال اني قرأت تاريخ موسهيم البروتستانتي ووجدت فيه هذه العبارة (ان المسيحيين الاولين لما مرضوا مرضاً مخطراً كانوا يدعون شيوخ الكنيسة حسب قول يعقوب (٥ : ١٤) وبعد ان يعترف المريض لله بخطاياه يستودعه الشيوخ لله بالتضرعات الخشوعية ويدهنوه بزيت (قرن ١ق ٢ ف ٤) ومن ذلك يعلم ان سرّ المسحة بالزيت كان يتلو سر الاعتراف حالاً وعندنا مسحة أُخرى اعظم من هذه واشرف

فقال المرتاب ما اكثر تقليداتكم يا صديقي وما اكثر احتجاجاتكم الباطلة واقوالكم الفارغة . ما هذه المسحة الاخرى ايضاً

المؤمن — هي مسحة مقدسة ينالها المعتمد من بعد اعتماده حالاً وتحل بواسطتها عليه الروح القدس.

المرتاب — لا اظن انهُ يوجد ذكر لهذه المسحة في الكتاب المقدس ولا تستطيع ان تأتي منه بدليل على اثباتها

المؤمن — انت تفتكر ذلك ولكن لو وقفت على الحقيقة لزالت منك الاوهام واعتقدت مستقيماً كما نعتقد نحن . ان المسيح وعد المؤمنين به ان يهبهم

الروح القدس بقوله (من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه انهار ماء حي قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون مزمعين ان يقبلوه لان الروح القدس لم يكن قد اعطي بعد لان يسوع لم يكن قد مجد بعد (يو ٧ : ٣٨ و ٣٩) فالمسيح عنى بكلامه هذا عن مواهب الروح الضرورية التي تمنح لجميع المؤمنين بلا اختلاف لا عن المواهب الغير الاعتيادية التي لا تعطى الا لبعض من المؤمنين (١ كو ١٢ : ٢٩) . فالمسيح وان كان لم يذكر الواسطة التي ينال بها المؤمنون الروح القدس لكن قد ذكرها اثنان من رسله القديسين فقال احدهما (اما انتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء . اما انتم فالمسحة التي اخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم الى ان يعلمكم احد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهي حق وليست كذباً كما علمتكم تثبتون فيه (١ يو ٢ : ٢٠ و ٢٧) وقال الآخر . ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذي ختمنا ايضاً واعطى عربون الروح في قلوبنا (٢ كو ١ : ٢١ و ٢٢)

المرتاب — لا يخبرنا الكتاب ان الرسل كانوا يمسحون الانسان بمسحة بعد المعمودية كما تفعلون الآن انتم معشر الاقباط فالمسحة التي يذكرها الرسولان هي معنوية

المؤمن — ان الكتاب او بالحري كتاب الاعمال ورد فيه ان الرسل كانوا يمنحون الروح القدس للمؤمنين من بعد صعود المسيح بوضع الايدي كما قيل (لما سمع الرسل الذين في اورشليم ان السامرة قد قبلت كلمة الله ارسلوا اليهم بطرس ويوحنا اللذين لما نزلا صليا لاجلهم لكي يقبلوا الروح القدس لانه لم يكن قد حل على احد منهم غير انهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع حينئذ وضعا الايادي عليهم فقبلوا الروح القدس (اع ٨ : ١٤ - ١٧) . وفعل مثل

ذلك بولس الرسول مع التلاميذ الذين وجدهم في افسس وكانوا معتمدين بمعمودية يوحنا فقط فسألهم قائلاً (هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم قالوا له ولا سمعنا انه يوجد الروح القدس فقال لهم فبماذا اعتمدتم فقالوا بمعمودية يوحنا فقال بولس ان يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب ان يؤمنوا بالذي يأتي بعده اي بالمسيح يسوع فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم (اع ١٩ : ٢ - ٥) فينتج لنا من ذلك امران وهما اولاً ان الروح القدس كان يمنح للمؤمنين بواسطة حسية وهي وضع الايدي ثانياً ان ذلك كان عملاً منفصلاً عن المعمودية ومستقلاً وقائما بذاته

المرتاب — لا اقدر ان استنتج من ذلك ان الرسل كانوا يدهنون المؤمنين بمسحة فان ما اوردته لا يستفاد منه خلاف وضع الايدي

المؤمن — حيث ان الكتاب يذكر في مكان وضع الايدي وفي مكان آخر المسحة فينتج من ذلك ان الرسل اما انهم في الوقت الواحد كانوا يستعملون العلامتين معاً وهما وضع الايدي والمسحة وان الاكتفاء بذكر العلامة الواحدة كان يغني عن الاخرى او انهم كانوا يتممون السر قبلا بوضع الايدي فقط وبعد حين استبدلوا وضع الايدي بالمسحة حين اتسع نطاق النصرانية ولم يعد في امكان الرسل او خلفائهم ان يطوفوا في كل مكان ليمنحوا المؤمنين الروح القدس المختص منحه بالرسل دون سواهم (اع ٨ : ١٢ — ١٨) وانما اختاروا هذه الواسطة دون غيرها جرياً على ان الله كان يمنح الروح القدس للملوك والكهنة في العهد القديم بهذه العلامة (خر ٨ ٢ : ٤١ واصم ١٦ : ٣ وامل ١ : ٣٩ و١٩ : ١٦) فيدعي من ثم الممسوح بها مسيح الرب وقد قال تاوفيلوس بطريرك انطاكية في الجيل الثاني · ان اسم المسيح يدل على الممسوح وهو اسم لائق موعب من

المطربات ومستحق لوقار عظيم جداً · فاذاً لهذا السبب ندعى مسيحيين لاننا نمسح بزيت الهي (رسالة الى افطوليكس ١ : ١٢) اريد ان اورد لك شهادات اخرى من اقوال الاباء والمجامع الاولى ·

المرتاب — قل ما شئت فان اقوالك هذه جميعها لا تحرك لي ساكناً او تسكن لي متحركاً لاني ثابت على مذهبي القويم وانا ان شاء المولى سآتي الليلة القابلة بواحد من اصحابي اقوى مني عبارة وافصح لساناً واكثر علماً وهو يدحض كل آرائكم

المؤمن — نحن اولاد هذه الساعة لا غيرها فاننا لا نثق بانفسنا ان نعيش اكثر مما عشنا لاننا لا نعلم ما في الغد · ان هذه المسحة وصفها وذكر اهميتها ديوناسيوس في كتاب رياسة الكهنوت حيث قال (توجد تكملة اخرى معادلة لهذه الشركة يسميها معلمونا الرسل تكملة الميرون (٤ : ١) وقال ان مسحة التكميل بالميرون المقدس لمن استحق سر الولادة الثانية الكلي قدسه تمنحه حلول الروح ذي العزة الالهية (٤ : ١١ و٢ : ٨) وقال ترتوليانوس · بعد خروجنا من جرن المعمودية مسحنا بزيت مقدس تبعاً للتكملة القديمة كما كانوا قديماً يدهنون بزيت القرن لنوال الكهنوت · ان المسحة تتم علينا جسدياً لكننا نستثمر منها اثاراً روحية كما في المعمودية حيث نعتمد جسدياً بالماء ونستثمر اثاراً روحية اذ ننقى من خطايانا وبعد ذلك توضع اليد التي مع البركة تستدعي الروح القدس وتحدره (في المعمودية ف ٧) وقال كبريانوس من اعتمد ينبغي ان يمسح ايضاً لكي يصير بواسطة المسحة ممسوحاً لله ويأخذ نعمة المسيح (رسالة ٧٠) وقد ذكر اصحابك يا صديقي هذه الشهادات وغيرها في كتاب ريحانة النفوس (وجه ١٥٧ و١٥٨)

المسامرة الرابعة عشرة في سر الزواج

قال الراوي فانتصب صاحب المنزل عند آخر هذا القول وقال اني بكل سرور ادعو حضرات الموجودين ان يحضروا الليلة القادمة في احتفال عقد اكليل ولدي والعافية عند الجميع واني التمس من المتناظرين القبطي والبروتستانتي ان يقفل كل منهما باب الحديث في ما يلي هذه الليلة فاني اخشى من وقوع ما لا تحمد عاقبته فيتعكر ماؤنا الصافي ويتخلل فرحنا الحزن فوقع هذا الالتماس لدى العموم موقع الاستحسان وقام من ثم كل واحد وانصرف الى منزله ما عدا القسيس ونفران عرفت بعد ذلك انهما شماسا كنيسة اسيوط فأخذوا والد العريس على ناحية منفردة وبدأوا يتكلمون معه بخصوص صلحه مع الاسقف ويستنهضون همته الى ان يدعوه ليحضر صلوة الاكليل وقد سمعت احدهم يقول لهُ انا قرأت في كتاب فوجدت فيه ان اغناطيوس قال (يجب على المتزوجين والمتزوجات ان يجروا اتحادهم برأي الاسقف لكي يكون الزواج مطابقاً لارادة الله لا بحسب الشهوة (رسالة الى بوليكربوس ف ٦) وقال يوحنا فم الذهب· ينبغي ان تدعو الكهنة وتعقد اتحاد الازواج بالصلوات والبركات لكي ينمو شوق العريس وتزداد عفة العروس ويدخل عمل الفضيلة في بيتهما بكل وجه (على التكوين مقالة ٤٨) فاذاً يلزم ان تدعو ليس الاسقف فقط بل كل مصاف الاكليروس من الاسقف الى الشماس لتحل البركة في منزلك ويكون اكليل ولدك وعروسه مقدساً · قال الراوي فاجاب والد العريس هذا الالتماس ووقع لديه موقع القبول وامر بكتابة خطاب دعوة للاسقف وجميع الكهنة الموجودين بطرفه · وفي اليوم التالي حضر القسيس المومأ اليه وصلى في المنزل صلوة مسحة الزيت ومسح به الكبار والصغار وتوجه ايضاً الى منزل العروس وفعل مثل ذلك

ثم دعا العموم الى الكنيسة ليتقربوا من السرائر المقدسة فذهبت صحبتهم وحضرت الاحتفال واندهلت من نظامه فتناول العريس وعروسه من جسد المسيح ودمه وجملة من اقاربها واهلها وبعد فراغ القداس توجهنا الى المنزل حيث ابتدأ اهل الفرح يستعدون للاكليل وبعد الغروب بساعة حضر جناب الاسقف ومعه جملة من الكهنة والشمامسة وامر باحضار العريس وعروسه فاحضرا حالاً وابتُدِئَ من ثم بصلوة الاكليل وفي الختام انتصب كاهن لا يتجاوز من العمر ثلثين سنة وفاه مرتجلاً بهذا الخطاب

ان هذا السر العظيم وانما اقول هذا في المسيح وكنيسته (اف ٥ : ٣٦)

ان موضوع اعتبار عظمة هذا السر الالهي من حيث انه اولاً يرسم صورة اتحاد المسيح بكنيسته ومحبته لهُ وصورة خضوع الكنيسة للمسيح فان اتحاد الزوج بالزوجة السري والخضوع الواحد منهما للآخر بحسب الناموس الطبيعي والوضعي اللذين يقضيان بذلك على المرأة من حيث رجلها يرسمان امامنا صورة مقدسة طاهرة بلا عيب تشخص لنا بلا انقطاع المسيح وكنيستهُ الواحد خاضع والآخر مخضوع لهُ الواحد محبٌّ والآخر محبوب ومن ثم فقد قال الرسول وهو يخاطب الزوجة مبيناً ماهي واجبات المرأة من نحو الرجل (ايتها النساء اخضعن لرجالكنّ كما للرب لان الرجل هو رأس المرأة كما ان المسيح هو هو رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد فكما تخضع الكنيسة للمسيح فكذلك تخضع النساء لرجالهنّ في كل شيءٍ وقال وهو يخاطب بالعكس اي الزوج شارحاً فروض الرجل من نحو امرأته (ايها الرجال احبوا نساءكم كما احب المسيح الكنيسة وبذل نفسه لاجلها ليقدسها بغسل الماء)

ثانياً ان موضوع اهمية هذا السرّ الالهي تظهر من حيث انه يربط رباطاً

وثيقاً ويعقد عقداً حقيقاً ويقطع عهداً جديداً لا عتيقاً بين الزوج والزوجة عهداً لا فراق ولا عتاق ولا طلاق من بعد اتمامه عهداً لا تقدر الايام مهما تلونت والاحوال مهما تنوعت ان تنسخه عهداً مذ يبت بكلمة الله يصبح راسخاً متيناً مكيناً لا يُنقض مهما سعى الساعون الى نقضه عهداً يجمع بين المتفرقين ويلمّ بين المتباعدين عهداً يجمع الذاتين المختلفتين ذاتاً واحدة ويصيّر جسد الزوج وجسد الزوجة جسداً واحداً معنوياً روحياً وهل من سبيل الى تفريق المجتمع وتبديد المنتظم وتجزئة الذات الواحدة وقسمة الجسد بغير افساد تركيبه وحل عقد اجزائه وبالتالي ايقاع الخراب والدمار والاندثار والبوار بين كل من تينك الذاتين الصائرتين بهذا السرّ الالهي ذاتاً واحدة روحية تنطق بقدرة ابن الله وتعبر عن محبته لكنيسته واتحاده بها ومعاملته لها. انه يعسر كما نسمع على اية مملكة من ممالك الارض ان تبت عهداً مع مملكة اخرى ثم تنسخه لانه يعبر عقد ذلك العهد عن رضى المولى سبحانه وتعالى واسخاط المولى فأل شر وشؤم وشقاء على كلا المتعاهدين فما ادراك بالعهد الذي يقطعه المولى نفسه بين الزوج والزوجة فكم يكون عسراً ابطاله وصعباً فسخه وكم من الشقاء والبلاء وعدم الرضى يجلب احد الزوجين على نفسه اذا نوى مجرد النية ان يفعل ذلك وكم من الغضب والنصب والتعب يسبب احدهما لنفسه لو فعله. لعمري انه يكون خير له ان يموت الف مرة ولا ان يقدم على فعله او على الفكر فيه ما دام حياً يتحرك فانه اضحى هو والزوج الآخر جسداً واحداً واصبح هذا الجسد الواحد هيكلاً للروح القدس والحال ان من يفسد هذا الهيكل بتفريق بانه لا تُقدّر عقوبته كما قال الرسول (أما تعلمون انكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم ان كان احد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لان هيكل الله مقدس الذي انتم هو (١ كو ٣ : ١٦)

فانه مذ يتم اثبات هذا العهد من جهة من قبل الزوج والزوجة بان يملنا اقرارهما قدام الكنيسة بانهما قابلان للزواج بحريتهما التامة ورضاهما المطلق وادراك كل منهما وانهما يحفظان عهد الزواج الى آخر نسمة من حياتهما ويقيمان البرهان على عدم وجود المانع ان كان روحياً او حسبياً لاقترانهما ومن جهة اخرى من قبل الكنيسة بان تقبل هذا الزواج وتؤيده بالصلوة والبركة على رأس الزوج والزوجة يصبح جسد كل منهما جسداً للاخر وبالتالي يصبح جسداهما جسداً واحداً افيعقد الكاهن رباط زيجتهما على الارض والابن الوحيد يفعل ذلك في السماء يعلن الكاهن بان الزوج غير مسلط فيما بعد على جسده والمرأة غير مسلطة على جسدها ويؤيد المسيح ذلك في السماء. فانى يكون بعد ذلك لهذه الزيجة التي حالها هذا الحال من فراق او شقاق كما قال له المجد بخطابه نحو الفريسيين اذاً ليسا (الزوجان) بعد اثنين بل جسد واحد فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان (مت ١٩ : ٦) وانى يكون لهذا الاتحاد من طلاق او عتاق الا بموت احد الزوجين كما قال الرسول المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حياً ولكن ان مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط (١ كو ٧ : ٣٩) وكيف يجوز فرقة الجسد الواحد اعضاء بعضه من بعض مهما طال النزاع بينهما كقول الرسول (اما المتزوجون فأوصيهم لا انا بل الرب بان لا تفصل المرأة عن رجلها وان فارقته فلتبق غير متزوجة او فلتصالح رجلها وان لا يترك الرجل امرأته (١ كو ٧ : ١٠ و ١١) فلو سعت المرأة او سعى الرجل الى ان ينفصل احدهما من الآخر افلا يعد مفسداً لتركيب جسده وبالتالي زانياً كما قال له المجد لتلاميذه عقيب محاورة الفريسيين له (من طلق امرأته وتزوج باخرى يزني عليها وان طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني) مر ١٠ : ١١ و ١٢)

ثالثاً ان موضوع خطارة هذا السر الآلهي قائم من حيث انه يرد الفروع الي اصولها ويمكن الزواج الشرعي الذي سنه المولى بين خلقه وحلت ظروف الاحقاب والدهور والاعقاب عراه وفكت ربطه وقلت اهميته وانتهكت حرمته بالسماح للرجل ان يأخذ من النساء اكثر من زوجة فعادت بهذا السر الالهي الشريعة الخلقية الى حالها وتجددت بالكنيسة من بعد عدمها واضمحلالها فان موسى النبي اخبر عن هذه الشريعة العظمى حين خلقة الله للانسان بقوله (وخلق الله الانسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً وانثى خلقهم وباركهم الله وقال انموا واكثروا واملئوا الارض (تك ١ : ٢٧ و ٢٨) وحين خلقت المرأة بقوله (وبنى الرب الاله الضلع التي اخذها من آدم امرأة واتى بها الى آدم ... فقال آدم حين رآها هذه الآن عظم من عظمي ولحم من لحمي هذه تسمى امراة لانها من المرء اخذت ولذلك يترك الرجل اباه وامه ويلزم امرأته فيصير الاثنان جسداً واحداً (تك ٢ : ٢٢ — ٢٤) فما لبث هذا الناموس الخلقي الطبيعي حتى فسد نظامه على توالي الزمن واختلف نوعه وتغيرت طباعه بتغير طباع نوع الانسان وفسادها فاختل نظام الكون بامره اذ انفكت عرى العائلات وانحل ربطها وتشوش نظامها وتفرق منظومها وتميز مجموعها وزال مسموعها فظلت الطبيعة تخبط في فيافي الاختبال والاعتلال والاختلال الى ان اتى ربها فاعاد نظامها من حيث عدم وجدد ترتيبها من حيث فقد بقوله للفريسيين حين سألوه عن امر الطلاق (اما قرأتم ان الذي خلق من البدء خلقهم ذكراً وانثى وقال لذلك يترك الرجل اباه وامه ويلتصق بامرأته فيصيران كلاهما جسداً واحداً فليسا هما اثنان بعد لكنهما جسد واحد وما جمعه الله فلا يفرقه انسان) فعادت بذلك والعود احمد الشريعة الى مجراها الاصلي

وانتظم عقد العائلات بعد انحلاله وعاد الغرض الوحيد من الزيجة الى ... الاول وهو ايلاد البنين والمساعدة في المعيشة الزوج للزوجة والزوجة للزو... والاعتناء بتربية بنيهما التربية الروحية والجسدية معاً واعالتهم طالما يحتاجون ال... الاعالة فكان ذلك داعياً الى ارتباط العائلات بعضها بالبعض الاخر وكان... العائلات مصدراً للهيئة الاجتماعية التي هي جسم المسيح اعني كنيسته ومن ذلك نفهم كيف ان الزيجة بين الرجل والمرأة الواحدة ترسم امامنا صورة حية ناطقة تمثل المسيح وعروسه اي الكنيسة كما اسلفنا سابقاً

قال الراوي فلما انتهى هذا الخطيب من خطبته الدينية صفق لها عموم الحاضرين استحساناً ثم دارت كؤوس المرطبات وامتدت الموائد للعشاء فتعشى الجميع وبدأ كل واحد ينصرف الى مكانه فتوجهت الى الغرفة حيث شرعت استعد للسفر وفي اليوم التالي جاءني الخادم وقال لي ان الواجبات تقضي عليك ان تبارك للعريس والعروس بالاكليل المقدس فقلت له انا اعرف ذلك غير ان الحال لا تسمح لي ان اقوم بهذا الواجب فقال لي وما هو الداعي الذي يمنعك عن ذلك . فاجبته قائلاً ان العادة جرت عندنا نحن الاقباط ان الانسان يدفع للعروس حين يبارك لها مبلغاً من النقود وانا لا استطيع ان افعل ذلك لاني فقير واولادي محتاجون للقوت الضروري واني بغاية الصعوبة اخبر حضرتك اني ساسافر اليوم او الغد الى القاهرة فاودعك سلامي الاخير وارجوك ان لا تقطع عني مراسلاتك . فلما سمع هذا الكلام دمعت عيناه وقال ان فراقك يعسر علي كثيراً لقد اكفهر وجه الدنيا في عيني قاتل الله المقادير التي تفرق الحبيب من حبيبه . قال الخادم ذلك وخرج وانا لم استطع ان امسك نفسي من البكاء فاخرجت المنديل من جيبي لامسح به دموعي الحارة وبينما

ا ا كذلك واذا بوالد العريس داخل ومعه الخادم فطيب خاطري واخرج كيس
نقوده من جيبه ودفع لي عشر جنيهات وقال ان هذه القيمة احسان مني اليك
وزكوة عن مالي وعن عيالي ارجوك ان تدعو لنا بتسهيل امورنا وعدم انقطاع
نورنا . فشكرته على هذا الاعتناء الزائد الحد . وانطلقت على عجلة الى حيث
العريس وعروسه وباركت لها بالاكاليل المقدس ودعوت لها بالذرية المباركة
وخرجت من عندها وتوجهت الى الدار الاسقفية حيث قابلت جناب الاسقف
وتباركت منه وودعته الوداع الاخير فمد يده الى جيبه واخرجها وتناول يدي
ووضع فيها كمية وافرة من النقود فشكرت افضال قدسه ودعوت لهُ بطول العمر
وانصرفت شاكرًا حامدًا وعدت الى المنزل حيث اقمت النهار اجمع الى اوان
المساء وانا استعد للسفر ثم ناديت الخادم ورجوته ان يذهب باكرًا صحبتي الى
محطة الوابور فاجاب طلبي ووعدني بذلك ولما طلع النهار دعوته فحضر حالاً
وتوجه معي الى المحطة وفي اثناء الطريق قال لي انهُ شاع بين اهل اسيوط
ان جناب الاسقف جبر بخاطرك على خلاف عادته ودفع لك من النقود
تسع جنيهات فانذهلت من هذا الخبر وكان من حسن الطالع ان المبلغ الذي
منّ به عليّ جناب الاسقف لا يزال موجودًا على حدته فاخرجته من جيبي
وعددته قدام الخادم فاذا هو ثمانية عشر غرشًا دارجًا ولما وصلنا الى المحطة
دفعت هذا المبلغ الى فقير كان يتسول ليتمكن من الحصول على ثمن تذكرة
الوابور . ثم قطعت التذكرة الى منفلوط فلما قدمت اليها توجهت عند انبا
بطرس الأُسقف فقابلني بسرور وبشاشة ولكني لم اقدر ان امكث عنده زيادة عن
يوم واحد فاني قلقت في الليل من كثرة تلاوته للزامير والتسابيح فسافرت الى
المنيا بدون علمه فسخط عليّ لذلك وارسل خطابًا يعاتبني به عتابًا عنيفًا ولا تسأل

عن الاكرام الزائد الذي نلته من جناب انبا ياكوبوس سقف المنيا فانه لم يدعني
ابرح من عنده الا بعد مضي اربع ايام ثم استاذنت منه فتصدق عليّ باربعمائة
غرش صاغ وكنت اؤمل اني سأجد من الاحتفاء والاكرام في بني سويف
كما وجدت في المنيا فخاب املي فاني لما توجهت عند الاسقف بدأ يشكو من
الفقر ومن بخل الشعب فشعرت انه يطردني بمعنى وان لسان حاله يقول لي
اني فقير نقير لا نقود عندي ولا مال لي فتذكرت قول الرسول بطرس للرجل
الاعرج (ليس لي فضة ولا ذهب ولكن الذي لي فاياه اعطيك باسم الرب يسوع
المسيح الناصري قم وامش (اع ٣ : ٦) فقلت لهُ امنحني بركتك وادع لي
بالخير وقبلت يديه وخرجت من داره قاصدًا المحطة حيث انتظرت مدة
ساعة واحدة الى حين وصل الوابور فركبت فيه ومن شؤم الطالع انه
اصطدم بوابور آخر في محطة الواسطى كان آتيًا من مصر فارتجت العربات
وانقلبت اثنتان منها بما فيهما من الركاب وكنت انا في احداهما فرأيت من الاهوال
ما يشيب الاطفال فانهُ لم ينجُ من هاتين العربتين الا نفر قليل من الركاب
الذين كانوا فيهما والباقون تمزقوا اربًا اما انا فنجوت ولكن لم اشعر باية واسطة فاني
لم احس الا وانا على رصيف المحطة بين ايدي جماعة ولما أفقت رأيت ان متاعي
ذهب هباءً منثورًا ماعدا المجموعة فانها كانت موجودة في جيبي فشكرت الباري
على ذلك ثم انتظرت مسافة يوم حتى قام وابور الى القاهرة فركبت فيه
وجئت الى مصر مساءً ولا اقدر اصف المشهد المحزن الذي رأيته اثناء دخولي
على بيتي فاني كنت ارسلت اخبرهم عن قيامي من بني سويف برسالة برقية
فذهب اولادي ينتظرونني في محطة مصر فلما شاعت الاخبار في المحطة ان
الوابور انكسر في الواسطى وهلك من فيه ايقنوا بهلاكي وذهبوا يبكون الى

والدتهم وهذه لما شعرت بذلك نصبت الجنازة ودعت النادبات وبدأت تندب وتنوح عليَّ فلما وصلت الى المنزل ورأيت هذا المشهد المخيف ظننت ان احد اولادي توفي فسقطت على الارض غائباً عن الصواب وكانت هيئتي تغيرت من جراء تلك المخاوف التي صادفتني في الطريق فلم يقدر احد من عائلتي ان يعرفني وبقيت منطرحاً على الارض مدة ثلاث ساعات ثم عدت الى نفسي قليلاً فوجدت احد اولادي بجانبي وقلت له ماذا جرى لوالدتك حتى آل بها الامر الى هذه الحال . فاجابني باكياً ان ابي داسه الوابور في محطة الواسطى فعند ما سمعت هذا القول عدت الى نفسي ورجعت قوتي اليَّ واجبته قائلاً يا ولدي انا ابوك اذهب سريعاً واخبر والدتك اني حي لم امت فذهب الولد فتبعته على الاثر ولما بلغت باب الاوضة حيث كانت امرأتي تندب وتبكي دعوتها باسمها فقامت منزعجة فقلت لها انا (فلان) لم يحدث لي ادنى اذى لا تخافي ووقعت على عنقها وبكيت متأثراً من حالها فوقعت هي ايضاً على عنقي وصاحت متهللة ثم جلست واخذت تقص لي ما حدث لها اثناء غيابي وما جرى لها البارحة من الاحزان والمصائب وما سمع اهل الحارة خبر قدومي حتى [illegible]وا يهنونني بالسلامة ويسلمون عليَّ وفي الحال رفعت الجنازة واستبدلت الاحزان بالافراح وبعد مضي ثلاثة ايام ورد لي خطاب من الخادم الامين يخبرني ان الاقباط البروتستانت اجتمعوا في منزل سيده مرة واحدة من بعد الفرح وفي هذه الدفعة الاخيرة اظهر المرتاب رغبته في العود الى كنيسته الارثوذكسية فقبله الاقباط فرحين ففرحت عند ما قرأت هذا الخطاب وشكرت الله على حسن الختام

﴿ انتهى الكتاب الاول من الروضة الزهية ويليه الكتاب الثاني ﴾
﴿ بمشيئة الله الاب ونعمته الالهية ﴾